الرجم بين إقرار المؤمنين.. ونفي القرآنيين !!

التوحيد

مجلة إسلامية - ثقافية - شهرية
تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية

السنة الواحدة والثلاثون - العدد الثاني عشر - ذي الحجة ١٤٢٣ هـ - الثمن ١٠٠ قرش

فضل صوم الأشهر الحرم

فضل الحج وفوائده

الإستنساخ إكذوبة.. أم فتنة ؟!!

بسم الله الرحمن الرحيم

• صاحبة الامتياز •
جماعة أنصار السنة المحمدية

المشرف العام
د. جمال المراكبي

اللجنة العلمية
زكريا حسيني
جمال عبد الرحمن
مجدي عرفات

التوزيع الداخلي:
مؤسسة الأهرام
وفروع أنصار
السنة المحمدية

الاشتراك السنوي:
١- في الداخل ١٥ جنيهاً (بحوالة بريدية داخلية باسم مجلة التوحيد - على مكتب بريد عابدين).
٢ - في الخارج ٢٠ دولاراً أو ٧٥ ريالاً سعودياً أو ما يعادلها.
ترسل القيمة بحوالة بنكية أو شيك. على بنك فيصل الإسلامي - فرع القاهرة - باسم مجلة التوحيد - أنصار السنة (حساب رقم / ١٩١٥٩٠).

مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر

السلام عليكم

صيام الدهر

عن أبي قتادة الأنصاري رضي الله عنه قال: رجلٌ أتى النبي ﷺ ، فقال : كيف تصوم ؟ فغضب رسول الله ﷺ، فلما رأى عمر رضي الله عنه غضبه قال: رضينا بالله ربًا وبالإسلام دينًا ، وبمحمدٍ نبيًا، نعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله، فجعل عمر يردد هذا الكلام حتى سكن غضبه ، فقال : يا رسول الله : كيف بمن يصوم الدهر كله؟ قال : «لا صام ولا أفطر». أو قال: «لم يصم ولم يُفطر». قال : كيف من يصوم يومين ويفطر يومًا ؟ قال : «ويطيق ذلك أحدٌ ؟» قال: كيف مَن يصوم يومًا ويفطر يومًا؟ قال: «ذاك صوم داود عليه السلام». قال : كيف مَن يصوم يومًا ويفطر يومين ؟ قال : «وددت أني طوقت ذلك». ثم قال رسول الله ﷺ : «ثلاثٌ من كل شهر ، ورمضان إلى رمضان، فهذا صيام الدهر كله. صيام يوم عرفة أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله ، والسنة التي بعده. وصيام يوم عاشوراء أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله».

نسأله تعالى العلم النافع والعمل الصالح.

الرئيس العام

التحرير / ٨ شارع قوله - عابدين - القاهرة
ت : ٢٩٣٦٥١٧ فاكس : ٢٩٣٠٦٦٢
قسم التوزيع والاشتراكات ت : ٣٩١٥٤٥٦

المركز العام : القاهرة - ٨ شارع قوله - عابدين
هاتف : ٣٩١٥٥٧٦ - ٣٩١٥٤٥٦

رئيس مجلس الإدارة

محمد صفوت نور الدين

رئيس التحرير

جمال سعد حاتم

مدير التحرير الفني

حسين عطا القراط

في هذا العدد

الافتتاحية : «فضل الحج وفوائده» : د. جمال المراكبي		٢
كلمة التحرير : «الاستنساخ» : رئيس التحرير		٥
باب التفسير :	د . عبدالعظيم بدوي	٩
باب السنة : «أعظم الذنوب عند الله تعالى» :	زكريا حسيني محمد	١٢
باب منبر الحرمين :	د. عبد العزيز السديس	١٧
الحجاب الشرعي للمرأة المسلمة :	الشيخ صفوت نور الدين	٢١
الإعلام بسير الأعلام :	مجدي عرفات	٢٤
جمع القرآن :	مصطفى البصراتي	٢٦
الرجم بين إقرار المؤمنين ونفي القرآنيين :	أحمد السيد علي إبراهيم	٢٩
فضل صوم الأشهر الحرم :	مصطفى سيد عارف	٣٢
من دلائل النبوة :	د. محمود عبد الرازق	٣٤
واحة التوحيد		٣٦
أقوال واعتقادات خاطئة :	طلعت زهران	٣٨
الحج :	الشيخ حامد الفقي	٤٠
أثر التوحيد :	اللجنة العلمية	٤٣
الخصام خصلة ذميمة :	صلاح عبد الخالق	٤٦
أطفال المسلمين :	جمال عبد الرحمن	٤٨
بين حنو الآباء وصلاح الأبناء :	أحمد عز الدين	٥٠
قصيدة : حجة الوداع :	حسن أبو الغيط	٥٢
العفو :	صلاح عبد الموجود	٥٣
باب الفتاوى : أجاب عليها :	الشيخ ابن عثيمين	٥٦
اقرأ من مكتبة المركز العام :	علاء خضر	٦٠
الأخلاق :	محمد عاطف التاجوري	٦٢
تحذير الداعية :	علي حشيش	٦٥
واجب العبودية :	معاوية محمد هيكل	٦٩

ثمن النسخة :

مصر جنيه واحد، السعودية ٦ ريالات، الإمارات ٦ دراهم، الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار أمريكي، الأردن ٥٠٠ فلس، العراق ٧٥٠ فلساً، قطر ٦ ريالات، عمان نصف ريال عماني.

البريد الإلكتروني

المجلة Mgtawheed@hotmail.com

رئيس التحرير Gshatem@hotmail.com

التوزيع والاشتراكات see@islamway.net

موقع المجلة على الإنترنت www.altawhed.com

افتتاحية العدد

فضل الحج وفوائده

بقلم
د. جمال المراكبي

الحج ركن عظيم من أركان الإسلام، فرضه الله سبحانه على المسلم المستطيع بقوله: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧]، ولا يزال الناس يحجون منذ رفع إبراهيم القواعد من البيت، وأذن في الناس بالحج كما أمره ربه عز وجل إلى يومنا هذا، ولا ينقطع الحج طالما على الأرض مؤمن، فإذا قبض الله أرواح المؤمنين، ولم يبق على ظهر الأرض إلا شرار الخلق الذين تدركهم الساعة وهم أحياء توقف سيل الحجيج إلى بيت الله الحرام كما سيأتي.

فضائل الحج كثيرة ومتنوعة

١- **فهو من أفضل الأعمال والقربات عند الله،** عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سُئل رسول الله ﷺ: أي العمل أفضل؟ قال: «إيمان بالله ورسوله». قيل: ثم ماذا؟ قال: «الجهاد في سبيل الله». قيل: «ثم ماذا؟» قال: «حج مبرور». [البخاري، ومسلم، والترمذي، والنسائي، وأحمد].

٢- **والحج يعدل الجهاد في سبيل الله،** وينوب عنه لمن لا يقدر عليه ومن لا يُكلف به.

عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: يا رسول الله، نرى الجهاد أفضل العمل، أفلا نجاهد؟ قال: «لا، لكن أفضل الجهاد حج مبرور». [البخاري كتاب الحج حديث رقم ١٤٢٣].

وفي رواية: قلت: يا رسول الله، ألا نغزو ونجاهد معكم؟ فقال: «لكن أحسن الجهاد وأجمله الحج، حجٌ مبرور». فقالت عائشة: فلا أدعُ الحج بعد إذ سمعت هذا من رسول الله ﷺ. [البخاري كتاب الحج حديث ١٧٢٨].

وفي رواية للنسائي: قلت: يا رسول الله، ألا

نخرج فنجاهد معك، فإني لا أرى عملاً في القرآن أفضل من الجهاد. قال: «لا، ولَكُنَّ أحسنُ الجهاد وأجملُه حج البيت، حجٌّ مبرور».

٣- **والحج المبرور ليس له ثواب إلا الجنة.** عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة». [متفق عليه، البخاري كتاب الحج (١٦٥٠)، ومسلم (٢٤٠٣)].

٤- **والحج المبرور سبب لغفران الذنوب.** عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من حج لله فلم يرفث ولم يفسق، رجع كيوم ولدته أمه». [البخاري ١٤٢٤].

وعند مسلم: «من أتى هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كما ولدته أمه». [ح ٢٤٠٤].

وعند الترمذي: «من حج فلم يرفث ولم يفسق غُفر له ما تقدم من ذنبه». [ح ٧٣٩].

٥- **والإكثار من الحج والعمرة ينفيان الفقر.** قال رسول الله ﷺ: «تابعوا بين الحج والعمرة، فإن المتابعة بينهما تنفي الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد». [الترمذي ح٧٣٨ عن ابن مسعود، وابن ماجه ح٢٨٨٧ عن عمر، والصحيحة ح١٢٠٠].

٦- **والحاج وافد على الله، ومن وفد على الله أكرمه الله.**

عن عمر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «الغازي في سبيل الله، والحاج، والمعتمر، وفد الله، دعاهم فأجابوه، وسألوه فأعطاهم». [ابن ماجه ح٢٨٩٣، الصحيحة ١٨٢٠]. وفي رواية: «الحجاج والعمار وفد الله، إن دعوه أجابهم، وإن استغفروه غفر لهم». [ابن ماجه ح٢٨٨٣].

وفريضة الحج دائمة مستمرة حتى بعد ظهور الفتن العظام: «ليحجن هذا البيت، وليعتمرن بعد خروج يأجوج ومأجوج». [صحيح الجامع ٥٣٦١].

فإذا قبض الله أرواح المؤمنين في آخر الزمان ولم يبق على الأرض إلا شرار الخلق الذين تدركهم الساعة وهم أحياء توقف الحج، قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى لا يحج البيت». [صحيح الجامع ٧٤١٩].

ولهذا وجب على كل مسلم مستطيع أن يتعجل الحج، فقد يأتي يومٌ يَعْجَزُ فيه عن الحج: «من أراد الحج فليتعجل، فإنه قد يمرض المريض، وتضل الضالة، وتعرض الحاجة». [صحيح الجامع].

بشرى لمن عجز عن الحج

وللمسلم أن يغتنم مثل أجر الحاج ؛ قال رسول الله ﷺ: «من صلى الفجر في جماعة، ثم قعد يذكر الله حتى تطلع الشمس، ثم صلى ركعتين كانت له كأجر حجة وعمرة تامة، تامة، تامة». [الترمذي عن أنس، صحيح الجامع ٧٣٤٦].

المصالح المرعية في الحج

أولاً: تعظيم البيت فإنه من شعائر الله وتعظيمه لله، قال تعالى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي

بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ (٩٦) فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾ [آل عمران: ٩٦، ٩٧].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢].

ثانيًا: تحقيق الألفة والوحدة، فيجتمع المسلمون على اختلاف ألسنتهم وألوانهم وأوطانهم في صعيد واحد، يدعون ربًا واحدًا، ويتوجهون لبيت واحد، فتتوحد الأهداف والغايات، وتصبح الأمة على قلب رجل واحد؛ قال رسول الله ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتعاطفهم كمثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو، تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر». [مسلم: ٢٠/٨]. وقال ﷺ: «المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يدٌ على من سواهم». [صحيح ابن ماجه (ح٢١٨١)]. فالحج يعرض لمظاهر قوة المسلمين وشوكتهم واجتماع جندهم وإظهار شريعتهم: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾.

ثالثًا: موافقة ما توارثه الناس عن إمام الحنفاء إبراهيم وولده إسماعيل، ودعا إليه محمد ﷺ، وتذكُّر هذه المواقف والمقامات: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٢٧) رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١٢٨) رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧- ١٢٩].

وقد كان النبي ﷺ يقول للناس في حجة الوداع: «قفوا على مشاعركم فإنكم على إرث من إرث أبيكم إبراهيم». [صحيح أبي داود (ح١٧٠٢)]. ويقول: «خذوا عني مناسككم لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا». [مسلم].

رابعًا: إعلان التوحيد الذي بعث الله به رسله وإظهاره في الأقوال والأفعال.

ففي التلبية يقول الحاج: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك.

وقد كان أهل الجاهلية يلبون بالشرك فيقولون: إلا شريكًا هو لك تملكه وما ملك.

وفي سائر المواقف والمشاعر يتجرد العبد في توحيده وطاعته لله عز وجل ومبايعته للنبي ﷺ، فيسير ويقف حيث أمره الله، ويحلق شعره، وينحر أو يذبح هديه حيث أمره الله وشرع له، ويتابع في ذلك كله رسول الله ﷺ.

اللهم ارزقنا حج بيتك، ووفقنا لما تحب وترضى.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

كلمة التحرير

بقلم
رئيس التحرير
جمال سعد حاتم

الاستنساخ... أكذوبة... أم فتنة؟!

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فإن استخدام العقل البشري فيما لا يفيد، ليس هو العمل الأول الذي يدخل فيه العلم «دائرة الغرور والإفساد»، بالرغم من الحقيقة التي لا تقبل الشك وهي تشجيع الإسلام لاستخدام العقل في العلم النافع، بل الحث عليه، وإن التجارب العلمية لم توجد للعبث بحياة البشرية وإهدار كرامتها، ولكن العلم يجب أن يسخر لخدمة الإنسان.

تعريف الاستنساخ:

أولاً لغة: نسخ الشيء يَنْسَخُه نَسْخًا وانْتَسَخَه واستَنسَخَه: اكتتبه عن معارضة. التهذيب: النَّسْخ اكتتابك كتابًا عن كتاب حرفًا بحرف، والأصل نُسخةٌ، والمكتوب عنه نُسخة لأنه قام مقامه، والكاتب ناسخ ومنتسخ.

والاستنساخ: كتب كتاب من كتاب؛ وفي التنزيل: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية: ٢٩]، أي نستنسخ ما تكتب الحفظة فيثبت عند الله. وفي التهذيب: أي نأمر بنسخه وإثباته. [اللسان «نسخ» ١٤/١٢١].

ثانيًا: عند علماء الطب يكون كالآتي:

إن الثابت علميًا أن أي خلية بشرية تتكون من نواة يحيط بها سائل يطلق عليه السيتوبلازم وداخل نواة كل خلية بشرية يوجد ٤٦ «كروموزوم» وهو عدد ثابت عند جميع البشر، والخلية الوحيدة التي تحوي نصف هذا العدد فقط هي خلايا الإخصاب، وهي الحيوانات المنوية عند الذكر والبويضة عند الأنثى، وتلك حكمة إلهية عظيمة حتى يحدث الإنجاب بالطريق الطبيعي عند التقاء الحيوان المنوي بالبويضة فيصبح عدد الكروموزومات (٤٦)، وتنتج الخلية الأولى التي تصبح جنينًا بعد ذلك.

وأولى خطوات الاستنساخ هي أخذ خلية بشرية من أي عضو من أعضاء الشخص المطلوب استنساخه بطريقة معملية بسيطة جدًا، والخطوة الثانية في التجربة هي تفريغ خلية بويضة أنثوية من نواتها، فلا يبقى إلاّ جدار الخلية والسائل الداخلي الذي نسميه «السيتوبلازم» حيث يتم زرع الخلية البشرية داخل هذه البويضة!!

وبعد تعريض الخلية البشرية وخلية

البويضة لشرارة كهربية عالية الجهد تلتصق الخلية بجدار البويضة، وتبدأ عملية الانقسام بشكل طبيعي، فيتم زرع البويضة المنقسمة في جدار الرحم لتبدأ مرحلة حمل طبيعي ثم ولادة طفل عبارة عن صورة طبق الأصل من الخلية الأولى التي أخذت من الشخص المراد استنساخه!!

ولا توجد أي بيئة صالحة لعملية النمو إلا الرحم، حيث لم يتوصل العلم حتى الآن لإنتاج ما يشبه الرحم، وكل ما فعلوه هو إعداد مكان يتوفر فيه جو الرحم للجنين ولكن لمدة أربعة أو خمسة أيام فقط.

وعلى هذا يمكن أن تتم هذه العملية بين امرأة وامرأة أخرى دون الحاجة إلى زواج أو زوج!! بل تتم هذه العملية بين امرأة ونفسها، وبينها وبين رجل أجنبي!! بل أعظم وأدهى من ذلك أن تتم بين حيوان وأنثى الإنسان!!

والاستنساخ بهذه الصورة يجرد الإنسان من خاصيته الإنسانية التي تتمثل في العواطف الطيبة والدوافع النبيلة لتحمل مسئولياته في الحياة، وينتكس به إلى الحيوانية، بل وأدنى من ذلك، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠].

الاستنساخ وانعكاساته القبيحة!!

إن طريقة إنتاج نسخة بشرية بالاستنساخ لها انعكاسات سيئة نفسية واجتماعية وصحية، فهذا المنتج مقطوع الجذور عن مجتمعه فهو غريب فيه، وليس له نسب مما يصيبه نفسيًا بالاغتراب عن كل ما حوله، ولا يجدي معه علاج لإزالة هذه الانعكاسات، وما يترتب عليها من تصرفات شاذة وضارة!!

إن الادعاء باستنساخ عباقرة أمر مردود عليه بأن النسخ عملية تخص الشكل والملامح والصفات المادية، والعبقرية شيء آخر لا علاقة له بالشكل والملامح الجسدية ؛ إذ العبقرية من أسرار النفوس وكرامتها، وهي أسرار غير قابلة للنسخ ولا وجود لها في الجينات، والإنسان ليس نتاج تركيبة واحدة، وإنما هو نتاج التفاعل بين الموروثات «الجينات» مع البيئة والمؤثرات المحيطة به، فحجة استنساخ العباقرة فيها خلط ومغالطة، كما جاء في بيان مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف.

الشطحات العلمية

إن التساؤلات حول حدود البحث العلمي بدأت من الولايات المتحدة نفسها التي تخلو من أي تشريعات تحظر القيام بأبحاث تهدف إلى إنتاج أجنة باستخدام تقنيات علمية مختلفة، بعد أن نجحت إحدى الشركات الأمريكية في نوفمبر سنة ١٩٩٨م في إنتاج جنين باستخدام خلية بشرية وبويضة بقرة تم تفريغ نواتها إلاَّ أن هذه التجربة لم يكتب لها استمرار النجاح، ولم تنته التجارب حتى الآن رغم كافة الانتقادات الموجهة لهذه النوعية من الأبحاث ليس لأسباب دينية وأخلاقية فحسب، وإنما لأسباب علمية، فالمعروف أن تجارب الاستنساخ في مجال الحيوانات حققت نسبة نجاح منخفضة للغاية، فالنعجة «دوللي» مثلاً ظهر عليها أعراض شيخوخة مبكرة، وهو أمر للإنذار بالخطر.

صور الاستنساخ المرفوض والمقبول

هناك أكثر من حالة للاستنساخ البشري يجب التمييز بين كل منها، وألا تأخذ جميعها نفس الحكم الشرعي، فهناك ست صور للاستنساخ البشري، يمكن الفتوى في أربع منها بالتحريم القاطع، في حين أن حالتين منها ينبغي التوقف بشأنها، وعدم الفتوى بالتحريم أو الإباحة، لحين معرفة النتائج التي سيتحدد بها القول بالإباحة أو التحريم.

وللاستنساخ صور منها:

● **الصورة الأولى**: هي أن يكون الاستنساخ بأخذ نواة خلية من أنثى لتوضع في بويضة أنثى أخرى بعد نزع نواتها، ثم الزرع النهائي في الرحم، وهذه الحالة من الاستنساخ البشري محرمة تمامًا ؛ وفقًا لعدة قواعد أصولية وفقهية، أولها قاعدة القياس على حرمة الاستمتاع الجنسي بين أفراد النوع الواحد- السحاق بين الإناث واللواط بين الذكور- فإذا كان الاستمتاع الجنسي بين أفراد النوع الواحد حرامًا فالإنجاب أولى بالحرمة، وكذلك سدًا للذرائع؛ لأنها لو شاعت بين النساء ؛ لأدت إلى انتشار الرذيلة، وكذلك منعًا للضرر النفسي والاجتماعي الذي سيقع على المولود.

● **الصورة الثانية** : هي أخذ نواة من خلية امرأة لتوضع في بويضة نفس المرأة، وهي حرام كالحالة السابقة، وأدلة التحريم هي نفس الأدلة.

● **الصورة الثالثة**: هي أن تكون النواة من خلية ذكر حيواني في بويضة امرأة، والحكم فيها هو التحريم القاطع ؛ لأنه عبث وتشويه لخلق الله؛ إذ سينتج ذلك مخلوقًا جديدًا بالمرة.

● **والصورة الرابعة**: هي أن تكون النواة من خلية ذكر إنسان، ولكن ليس زوجًا للمرأة صاحبة البويضة، والحكم فيها التحريم أيضًا؛ لأنه في معنى الزنى، وإن كان ليس زنى حيًا لعدم توافر أركانه، ولكنه يؤدي إلى ما يؤدي إليه الزنى من اختلاط الأنساب، ومن ثم ينطبق عليه نفس الحُكْم.

أما الصور الأربع السابقة، فقد ذهب الدكتور رأفت عثمان عضو مجمع البحوث الإسلامية إلى تحريمها تحريمًا قطعيًا متفقًا مع إجماع العلماء في تحريم الاستنساخ البشري، لكن هناك صورتان يرى التوقف فيهما، ولا يذهب إلى ما ذهب إليه جمهور العلماء بالتحريم.

النواة التي تحمل المادة الوراثية

● **الصورة الأولى** : تكون فيها النواة التي تحمل المادة الوراثية من خلية ذكر إنسان «زوج» تُوضع في بويضة امرأة «زوجته» بشرط أن يكون ما زال حيًا (أي الإنجاب اللاجنسي بين الزوجين)، فهو يفتي بالتوقف في مثل هذه الحالة دون القول بالتحريم أو بالإباحة ؛ انتظارًا لنتائج الأبحاث والتجارب، في مجال الاستنساخ؛ فإذا كان الناتج طفلاً مشوهًا غير سوي في أي من جوانب التكوين الجسمي والنفسي والاجتماعي، فيكون الحُكْم هو التحريم القاطع، أما إذا كان الطفل المولود بهذه الطريقة طبيعيًا لا تشوبه شائبة ؛ فيصبح الحكم في هذه الحالة محل مناقشة العلماء من كل الشخصيات العلمية والإنسانية والفقهية، حيث يبدو ساعتها أن الزوج الذي لا يستطيع الإنجاب بالطريق الطبيعي «الجنسي» صاحب حق في اللجوء إلى الاستنساخ البشري وفق هذه الطريقة.

● **أما الصورة الثانية** : فهي المعروفة بالتوأم السيامي أو المتطابق، وهي صورة للاستنساخ البشري لا يُستغنى فيها عن الحيوان المنوي، كما في الحالات السابقة، وإنما هي محاولة لولادة أكثر من مولود يشتركون في نفس الصفات الوراثية كالتوائم، وتتم عن طريق تخصيب البويضة بالحيوان المنوي في طبق خارج الرحم، وتقسيم الخلية الناتجة عن هذا التلقيح لأكثر من خلية تتطابق جميعها وتحمل نفس الصفات الوراثية، وهو يتوقف في الفتوى فيها دون القول بالتحريم أو بالإباحة ؛ انتظارًا لنتائج تجارب الاستنساخ، وما ستسفر عنه.

ليست دعوة للاستنساخ

وليست هذه دعوة أو فتوى للاستنساخ البشري، وإنما هو اتباع لمنهج علماء السلف في الفقه الإسلامي في توقع الحادثين، وافتراض قضايا لم تحدث، ثم الاجتهاد في بيان أحكامها «أو ما يُعرف بالفقه الفرضي» فهو على قناعة بأنه بالرغم من تشديد القوانين والتشريعات الدولية على تجريم وتحريم الاستنساخ البشري، فإن ذلك لن يمنع حدوث استنساخ بشري بسبب سهولة هذا النوع من العمليات التي يستطيع أي مركز أطفال أنابيب إجراءها بعيدًا عن الرقابة، فهي ليست أصعب جهدًا أو أكثر تكلفة من القنبلة الذرية التي لا يتوقف تصنيعها بالرغم من الحظر وارتفاع التكلفة، خاصة في ظل تراجع الوازع الأخلاقي والديني، وانتشار العبث مع ضعف الرقابة.

إطلاق العنان للعلم

ومن ثم يؤكد الدكتور رأفت عثمان أن فتواه مرتبطة بوقوع المحظور، وحدوث استنساخ.

فإطلاق العنان للعلم فيما يختص بالتجريب على الإنسان أمر غير مقبول خلقياً أو علميًا، وقضية الاستنساخ تعد من نوازل العصر وتلبيس الحق بالباطل، وتشكيك الناس في دينهم، الذي أمرهم أن يعبدوا ربًا خالقًا رازقًا، مدبرًا للكون لا يشركون به شيئًا فكيف خلق هؤلاء!! .

المحافظة على النسل !!

إن الاستنساخ في مجال البشر غير جائز، كما ورد في فتوى مجمع البحوث الإسلامية، ومحاولة استنساخ بشر من آخر على طريقة النعجة «دوللي»، بحيث يمكننا أن نستنسخ من الشخص الواحد عشرات أو مئات مثله بدون حاجة إلى أبوين ولا زواج ولا أسرة، بل يكفينا أحد الجنسين من الذكور أو الإناث، ونستغني عن الجنس الآخر، وبهذا تستطيع البشرية أن تستنسخ من الأشخاص الأذكياء عقلاً، والأقوياء جسمًا، والأصحاء نفسًا، بوهم المحافظة على النسل. والمحافظة على النسل تقوم على إيجاد النسل بتحقيق المصالح ودفع المفاسد، فشرع الله

سبحانه الزواج حفاظًا على النسل البشري، فهو سنة الله في خلقه، قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا﴾ [الروم: ٢١]، فخلق الله الزوجين وركب فيهما آلات التناسل، وغرس الشهوة والميل إلى الآخر، كما يميل بفطرته إلى الطعام والشراب!!

والعبد وهو يقضي شهوته يتقرب إلى الله بأربع:

١- محبة الله بالسعي في تحصيل الولد، وإبقاء الجنس البشري.

٢- محبة النبي ﷺ في تكثير من يباهي بهم ﷺ: «إني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة».

٣- الانتفاع بدعاء الولد الصالح.

٤- الشفاعة بموت الصغير إذا مات قبل أبويه.

وفي كل هذه القربات تجد المنافع الكثيرة التي تتبع ذلك من التحصن بدفع الشهوة وغض البصر، وترويح النفس: ﴿... لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾.

وعلى كل حال فإنه ثبت عقلاً وشرعًا أن الزواج هو الطريق الوحيد لبقاء النسل، والمحافظة عليه، ولا سبيل لتكوين أسرة قوية إلاَّ بالزواج الصحيح وليس بالاستنساخ!!

حفظ النسل بدفع المفاسد!!

وحفظ النسل يكون بدفع المفاسد، فقد سدَّ الإسلام كل الطرق المؤدية إلى فساد النسل، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢]، فبلاغة اللفظ عظيمة تبين عظم جريمة الزنى للبعد عن إفساد النسل وكذلك، قال عمر رضي الله عنه كما في الصحيحين: «لقد خشيت أن يطول بالناس زمان حتى يقول قائل: لا نجد الرجم في كتاب الله، فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله، ألا وإن الرجم حق على من زنى وقد أحصن إذا قامت البينة أو كان الحمل أو الاعتراف، ألا وقد رجم رسول الله ﷺ وَرَجَمْنَا بعده». [خ٦٨٢٩].

هل الاستنساخ خلق من دون الله؟!

إن الاستنساخ ليس خلقًا، إنما هو استعمال سيئ لخلق الله كما أراد الشيطان: ﴿وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا﴾ [النساء: ١١٩].

قال تعالى: ﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الرعد: ١٦]، وقال: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ (٥٨) أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ﴾، وقال: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾ الآية.

فالله خلق آدم من تراب، وخلق منه حواء، وخلق عيسى من أنثى بلا ذكر: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الذاريات: ٤٩]، فالله تعالى له الخلق المطلق، والقدرة التامة: ﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ (٢٠) فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (٢١) إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ (٢٢) فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾ [المرسلات: ٢٠- ٢٣].

وهذه النطفة المخلقة لو لم يشأ الله لم تخلق، فكل شيء بمشيئته، كما في حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق «إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح».

ومما تقدم نستطيع القول: إن كل مولود له بأبيه صلة، وهو الحيوان المنوي، تكوينًا ووراثةً، وله بأمه صلتان، البويضة والحمل والولادة والرضاعة، فإذا اختلفت هذه الصلات كان الإنجاب محرمًا، فالنطفة المحترمة هي التي جاءت من نتاج الزوجين، ولهذا قال الله سبحانه وتعالى: ﴿فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا...﴾ [الأعراف: ١٨٩]، وقال: ﴿مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾ [مريم: ٢٨]، وقال تعالى: ﴿إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢]، فهذا المولود هو الذي يكتسب الأبوة والأمومة الشرعية، ويترتب عليه أحكام المولود.

والإنسان إذا لم يضبط عمله بميزان الشرع ضل وأهلكه الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [المائدة: ٤٩].

اللهم فقهنا في ديننا، وأحسن أعمالنا. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

••باب التفسير••

سورة الصف

الحلقة الأخيرة

بقلم: د. عبد العظيم بدوي

﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (٨) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (٩) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (١٠) تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١١) يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٢) وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (١٣) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴾[الصف: ٨- ١٤].

تفسير الآيات

قوله تعالى: ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ ﴾ يعني: الذين قالوا لمحمد ﷺ لما جاءهم بالبينات هذا سحرٌ مبين، ومَثَلُهم في ذلك كمثل الطفل حين ينفخ في هذا المصباح الكهربائي ليطفئه، وكما أن هذا مستحيل، كذاك الذي يريدونه مستحيل، ولهذا قال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (٨) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾. قال ﷺ: «إن الله زوى لي الأرض، فرأيتُ مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زُوي لي منها».[صحيح، رواه مسلم (٢٨٨٩/٢٢١٥/٤)].

وقال ﷺ: «ليبلغنَّ هذا الأمر ما بلغ الليلُ والنهار، ولا يتركُ اللهُ بيتَ مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين، بعزِّ عزيز، أو بذل ذليل، عزًا يعزُّ الله به الإسلامَ، وذلاً يذلُّ به الكفر».[أخرجه أحمد (١٠٣/٤)، والطبراني (١٢٦/١/١)، والحاكم (١٦٦/١)، وانظر «تحذير الساجد» للألباني (١٧٣)].

وإنا لموقنون بوعد الله ورسوله، وعسى أن يكون قريبًا، ﴿ يَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (٤) بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٥) وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ

النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ [الروم: ٤ - ٦].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾، وهكذا يبدأ النداء بهذا الاسم، اسم الإيمان: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ يليه الاستفهام المشوّق: ﴿ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾، ومن ذا الذي لا يشتاق لأن يدلّه الله على هذه التجارة؟ وهل يسعى المسلم ويكدح إلا لينجو من العذاب الأليم؟ وهل هناك غايةٌ يسعى إليها المسلم إلا النجاة من العذاب الأليم؟ إن هذه هي التي يدندن الجميع حولها، وبعد السؤال يأتي الجواب: ﴿ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ وهم مؤمنون، وكأني بهم قد أشرقت قلوبهم وهم يسمعون هذا الشرط ويعلمون أنه متحقق فيهم، فهم يلقون السمع لما بعده فيقول لهم ربّهم: ﴿ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ﴾، فليس المراد مطلق الجهاد، ولكن المراد الجهاد في سبيل الله، لإعلاء كلمة الله، لا حميةً ولا عصبيةً، ولا رياءً ولا سمعةً، ولا لأي هدف، بل لتكون كلمةُ الله هي العليا، كما قال ﷺ: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله».[متفق عليه].

والجهاد في سبيل الله هو ذروة سنام الإسلام، كما قال ﷺ: «رأسُ الأمر الإسلام، وعمودُه الصلاة، وذروةُ سنامه الجهاد».[صحيح. رواه الترمذي (٤/١٢٤/٢٧٤٩)، وابن ماجه (٢/١٣٣٤/٣٩٧٣)].

والجهاد إخوة الإسلام لا يقتصر على جهاد السيف وحده، ولكن الجهاد ثلاث عشرة مرتبة، منها جهاد السيف، فالأعداء الذين يجب جهادهم أربعة: النفس، والشيطان، والكفار والمنافقون، وأرباب الظلم والبدع والمنكرات.

وجهاد النفس أربع مراتب:

الأولى: أن تجاهدها على تعلم الهدى ودين الحق الذي لا سعادة لها ولا فلاح ولا نجاح في الدنيا والآخرة إلا به.

الثانية: أن تجاهدها على العمل بالعلم، وإلا فإنّ مجرد العلم من غير عمل إن لم يضرّها لم ينفعها.

الثالثة: أن تجاهدَها على تعليم ما تعلّمت، فمن تعلّم وعَمِلَ وعَلّم فقد يُدْعَى في ملكوت السماوات عظيمًا.

الرابعة: أن تجاهدها على الصبر على مشاقّ الطلب، ومشاقّ التعليم.

وجهاد الشيطان مرتبتان:

الأولى: أن تجاهده على رفع ما يُلقي إليك من الشهوات المحرمة التي تُفْسِد عليك عملك.

الثانية: أن تجاهده على رفع ما يُلْقي إليك من الشبهات التي تُفْسِدَ عليك دينك.

وبالمرتبة الأولى يحصّل الإنسان الصبر، وبالثانية يحصّل اليقين، وبالصبر واليقين تُنال الإمامةُ في الدين، قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾[السجدة: ٢٤].

وجهاد الكفار والمنافقين أربعُ مراتب: بالنفس، والمال، واللسان، واليد، وجهاد الكفار أخصّ باليد، وجهاد المنافقين أخصّ باللسان. أما جهاد أرباب الظلم والبدع والمنكرات فثلاث مراتب: باليد، واللسان، والقلب، كما قال ﷺ: «من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطيع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان».[«زاد المعاد» لابن القيم (٩، ٣/١١)].

فهذه ثلاث عشرة مرتبة من مراتب الجهاد، و«من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بغزو مات على شعبة من النفاق».

﴿ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ أي: هذه التجارة خير لكم من تجارة الدنيا والكدّ فيها، والتصدّي لها وحدها، فإنّ ربح تجارة الدنيا عَرَضٌ زائل، وأما ربح التجارة التي دلّ الله عليها عباده فهو: ﴿ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾، وهذه وحدها تكفي، فمن ذا الذي يضمن أن يُغفرَ له ذنبه ثم يتطلع إلى شيء آخر؟ ولكن فضل الله ليس له حدود: ﴿ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ

تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾، وإنها لأربح تجارة أن يجاهد المؤمن في حياته القصيرة حتى لو فَقَدَ هذه الحياة كلّها، ثم يعوّض عنها تلك الجنات، وهذه المساكن في نعيم مقيم، وحقًا: ﴿ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

وكأنما ينتهي هنا حساب التجارة الرابحة، وإنه لربح ضخم هائل، أن يعطي المؤمن الدنيا ويأخذ الآخرة، فالذي يتجر بالدرهم فيكسب عشرة يغبطه كل من في السوق، فكيف بمن يتجّر في أيام قليلة معدودة في هذه الأرض، ومتاع محدود في هذه الحياة الدنيا، فيكسب خلودًا لا يعلم له نهاية إلا ما شاء الله، ومتاعًا غير مقطوع ولا ممنوع؟

ولكنّ فضل الله عظيم، وهو يعلم من تلك النفوس أنّها تتعلّق بشيءٍ قريب في هذه الأرض، يناسب تركيبها البشري المحدود، وهو يستجيب لها، فيبشّرها بما قدّره في علمه المكنون من إظهار هذا الدين في الأرض، وتحقيق منهجه وهيمنته على الحياة: ﴿وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

وهنا تبلغ الصفقةُ ذروة الربح الذي لا يعلمه إلا الله، الله الذي لا تنفد خزائنه، والذي لا ممسك لرحمته، فهي المغفرة والجنات والمساكن الطيبة، والنعيمُ المقيم في الآخرة، وفوقها... فوق البيعة الرابحة والصفقة الكاسبة النصر والفتح القريب، فمن ذا الذي يدلّه الله على هذه التجارة ثم يتقاعس عنها أو يحيد؟

ولكنّ اللهَ سبحانه يعلم أنّ النفس تضعف، وأنّ الاندفاع يهبط، وأنّ الجهد يكلّ، وأنّ حبّ السلامة قد يهبط بتلك المشاعر كلّها ويقودها إلى الرضا بالواقع الهابط، فيعالج ذلك بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾.

قال ابن كثير رحمه الله: يقولُ تعالى آمرًا عباده المؤمنين أن يكونوا أنصارًا لله في جميع أحوالهم، بأقوالهم وأفعالهم، وأنفسهم وأموالهم، وأن يستجيبوا لله ولرسوله كما استجاب الحواريّون لعيسى حين قال: ﴿مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾ أيْ مَنْ معيني في الدعوة إلى الله عزّ وجلّ؟ ﴿قَالَ الْحَوَارِيُّونَ﴾ وهم أتباعُ عيسى عليه السلام: ﴿نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ﴾ أي: نحن أنصارُك على ما أُرسلت به، وموازروك على ذلك.

وقوله تعالى: ﴿فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ﴾ أي: لما بلَغ عيسى عليه السلام رسالة ربّه إلى قومه، ووازره من وازره من الحواريين اهتدت طائفةٌ من بني إسرائيل بما جاءهم به، وضلّت طائفة فخرجت عما جاءهم به، وجحدوا نبوته، ورَمَوه وأمّه بالعظائم، وهم اليهود عليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة، وغلَتْ فيه طائفةٌ ممن اتبعه، حتى رفعوه فوقَ ما أعطاه الله من النبوة، وافترقوا فرقًا وشيعًا، فمن قائلٍ منهم إنه ابن الله، وقائل: إنه ثالث ثلاثة: الأب، والابن، وروح القدس، ومنْ قائل: إنه الله، تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا.

وقوله تعالى: ﴿فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ أي: نصرناهم على من عاداهم من فرق النصارى: ﴿فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ أي عليهم ببعثة محمد ﷺ، فأمّة محمدٍ ﷺ لا يزالون ظاهرين على الحقّ حتى يأتي أمر الله وهم كذلك، وحتى يقاتل آخرهم الدجالَ مع المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام، كما وردت بذلك الأحاديث. والله أعلم. اهـ.

وإلى اللقاء في العدد القادم- إن شاء الله- حول تفسير سورة الجمعة. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

« أعظم الذنوب عند الله تعالى »

إعداد: زكريا حسيني محمد

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه... وبعد: فقد أخرج البخاري في صحيحه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سألت النبيَّ ﷺ: أيُّ الذنب أعظمُ عند الله؟ قال: « أن تجعل لله ندًا وهو خلَقك ». قلت: إن ذلك لعظيمٌ، قلتُ: ثم أيٌّ؟ قال: « ثم أن تقتل ولدك مخافة أن يَطعَمَ معكَ ». قلت: ثم أيٌّ؟ قال: « ثمَّ أن تزانِيَ حليلة جارِكَ ».

« مواضع الحديث »

هذا الحديث أخرجه الإمام البخاري في سبعة مواضع من صحيحه مع اختلاف يسير في الألفاظ، نشير إليها عند الشرح إن شاء الله تعالى، أما الموضع الأول ففي كتاب التفسير باب قول الله تعالى: ﴿ فَلاَ تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ ورقمه (٤٤٧٧)، والموضع الثاني برقم (٤٧٦١) في باب قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلاَ يَقْتُلُونَ النَّفْسَ﴾ الآية.

والموضع الثالث برقم (٦٠٠١) في كتاب الأدب باب قتل الولد خشية أن يأكل معه، والرابع برقم (٦٨١١) في كتاب الحدود باب إثم الزناة وقول الله تعالى: ﴿وَلاَ يَزْنُونَ﴾، والخامس برقم (٦٨٦١) في كتاب الديات باب قول الله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا... ﴾ الآية، والموضع السادس برقم (٧٥٢٠) في كتاب التوحيد باب قول الله تعالى: ﴿فَلاَ تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا﴾ وقوله تعالى: ﴿ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾، وقوله: ﴿وَالَّذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾، وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ... ﴾ إلى ﴿ الشَّاكِرِينَ ﴾.

والموضع السابع برقم (٧٥٣٢) في كتاب التوحيد أيضًا باب قول الله: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ﴾.

كذلك أخرجه الإمام مسلم في كتاب الإيمان باب « بيان كون الشرك أقبح الذنوب وبيان أعظمها بعده ».

وأخرجه أبو داود برقم (٢٣١٠) في الطلاق باب « تعظيم الزنى »، وأخرجه الترمذي من طريقين برقم (٣١٨٣) في التفسير باب « ومن سورة الفرقان ».

« راوي الحديث »

قال الذهبي: عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب بن شَمْخ بن فار بن مخزوم

بن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار.

الإمام الحبر، فقيه الأمة، أبو عبد الرحمن الهذلي المكي المهاجري البدري. كان من السابقين الأولين، ومن النجباء العالمين، شهد بدرًا، وهاجر الهجرتين، وكان يوم اليرموك على النفل، ومناقبه غزيرة، روى علمًا كثيرًا.

حدّث عنه طائفة من الصحابة، وكثير من التابعين، وروى عنه القراءة أبو عبد الرحمن السلمي وعبيد بن نضيلة وطائفة.

اتفقا له في الصحيحين على أربعة وستين حديثًا، وانفرد له البخاري بإخراج أحد وعشرين حديثًا، ومسلم بإخراج خمسة وثلاثين حديثًا، وله عند بقيٍّ بالمكرر ثمانمائة وأربعون حديثًا.

قال قيس بن أبي حازم: رأيته آدَمَ خفيف اللحم. وقال عبيد الله بن عبد الله بن عتبة: كان عبد الله رجلاً نحيفًا قصيرًا شديد الأَدَمَةِ، وكان لا يغير شيبه.

وروى الأعمش عن إبراهيم قال: كان عبد الله لطيفًا فطنًا. قال الذهبي: كان معدودًا في أذكياء العلماء. وكان يعرف بأمه أيضًا ؛ فيقال: ابن أم عبد، قال: كنّاني رسول الله ﷺ أبا عبد الرحمن قبل أن يُولد لي. وعن نويفع مولى ابن مسعود قال: كان عبد الله من أجود الناس ثوبًا أبيض، وأطيب الناس ريحًا.

« شرح الحديث »

حرص الصحابة على تعلم العلم

قول ابن مسعود رضي الله عنه: سألت أو سُئل رسول الله ﷺ، ولأحمد عن ابن مسعود: جلس رسول الله ﷺ على نَشَزٍ من الأرض (أي مكان مرتفع) وقعدت أسفل منه، فاغتنمت خلوته، فقلت: بأبي وأمي أنت يا رسول الله، أي الذنوب أكبر؟

وهكذا ترى هذا الحرص من أصحاب رسول الله ﷺ ورضي الله عنهم على اغتنام الفرص للتعلم من رسول الله ﷺ والازدياد من المعرفة النافعة لدين المرء.

قوله: « أي الذنب أعظم؟ » وفي بعض الروايات: « أكبر؟ » وفي بعضها: « عند الله أكبر؟ ». وفي بعضها: « أعظم عند الله؟ ». والمراد بالأعظم الأكبر عند الله تعالى، فليس هناك ذنب أعظم ولا أكبر منه.

قال ﷺ: « أن تجعل لله ندًا وهو خلقك ». وفي رواية: « أن تَدْعُوَ لله ندًا ». والنِّد -بكسر النون-: النظير. ويقال أيضًا: النديد وهو الشبيه والمثيل والشريك.

« إثبات خلق الله تعالى لأفعال العباد »

ونقل ابن حجر رحمه الله تعالى عن ابن بطال قوله: غرض البخاري في هذا الباب « باب قول الله تعالى: ﴿فَلاَ تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾، وقوله: ﴿وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ من كتاب التوحيد، غرض البخاري في هذا الباب إثبات نسبة الأفعال كلها لله تعالى، سواء كانت من المخلوقين خيرًا أو شرًا، فهي لله تعالى خلق وللعباد كسب، ولا ينسب شيء من الخلق لغير الله تعالى، فيكون شريكًا وندًا ومساويًا له في نسبة الفعل إليه.

وقد نبه الله تعالى عباده على ذلك بالآيات المذكورة وغيرها المصرحة بنفي الأنداد والآلهة المدعوة معه، فتضمنت الرد على من يزعم أنه يخلق أفعاله. وقال الكرماني: الترجمة مشعرة بأن المقصود

إثبات نفي الشريك عن الله سبحانه وتعالى، فكان المناسب ذكره في أوائل «كتاب التوحيد »، لكن ليس المقصود هنا ذلك، بل المراد كون أفعال العباد بخلق الله تعالى. إذ لو كانت بخلقهم لكانوا أندادًا لله تعالى وشركاء له في الخلق، وتضمن الرد على الجهمية في قولهم: لا قدرة للعبد أصلاً، وعلى المعتزلة، حيث قالوا: لا دخل لقدرة الله تعالى فيها، والمذهب الحق: أن لا جبر ولا قدر بل أمر بين أمرين.

ولقد أطال ابن حجر رحمه الله تعالى في هذا الموضع، حيث نقل كلام الإمام البخاري في كتاب « خلق أفعال العباد » والرد على من قال إن القرآن مخلوق، ونقل قول الإمام أحمد قالوا بمسألة اللفظ وسماهم اللفظية وهم من قالوا: لفظي بالقرآن مخلوق. ثم نقل رحمه الله التوفيق بين مسلك البخاري ومسلك الإمام أحمد رحمهما الله تعالى.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ إلى قوله: ﴿بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾.

قال الطبري: هذا من الكلام الموجز الذي يراد به التقديم، والمعنى: ولقد أوحي إليك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين، وأوحي إلى الذين من قبلك مثل ما أوحي إليك من ذلك، ومعنى ليحبطن: ليبطلن ثواب عملك. اهـ.

قال ابن حجر: والغرض هنا تشديد الوعيد على من أشرك بالله، وإن الشرك محذر منه في الشرائع كلها، وأن للإنسان عملاً يثاب عليه إذا سلم من الشرك ويبطل ثوابه إذا أشرك.

« القرآن كلام الله تعالى غير مخلوق »

قوله: ﴿وَالَّذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ قال ابن حجر: أشار بإيرادها إلى ما وقع في بعض طرق الحديث المرفوع في الباب كما تقدم في تفسير سورة الفرقان، ففيه قوله: « أن تزاني بحليلة جارك »، ونزلت هذه الآية تصديقًا لقول رسول الله ﷺ: ﴿وَالَّذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ الآية. وكأن المصنف أشار بها إلى تفسير الجعل المذكور في الآيتين قبلها، وأن المراد الدعاء ؛ إما بمعنى النداء، وإما بمعنى العبادة، وإما بمعنى الاعتقاد.

وقد رد الإمام أحمد على من تمسك من القائلين بخلق القرآن بقوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًا﴾. وقال: هي حجة في أن القرآن مخلوق ؛ لأن المجعول مخلوق، فناقضه الإمام أحمد بنحو قوله تعالى: ﴿فَلاَ تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾.

وذكر ابن أبي حاتم في الرد على الجهمية أن أحمد رد عليهم بقوله تعالى: ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾ فليس المعنى فخلقهم، ومثله احتجاج محمد بن أسلم الطوسي بقوله تعالى: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً﴾ قال: أفخلقهم بعد أن أغرقهم؟ وعن إسحاق بن راهويه أنه احتج عليه بقوله: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ﴾، وعن نعيم بن حماد أنه احتج عليه بقوله تعالى: ﴿جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾، وعن عبد العزيز بن يحيى المكي في مناظرته لبشر المريسي حين قال له: إن قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ نص في أنه مخلوق، مُنَاقَضٌ بقوله تعالى: ﴿وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ

عَلَيْكُمْ كَفِيلاً ﴾، وبقوله تعالى: ﴿ لاَ تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا ﴾.

« معاني الجعل في القرآن وفي لغة العرب »

قال ابن حجر: وحاصل ذلك أن الجعل جاء في القرآن وفي لغة العرب لمعانٍ متعددة. قال الراغب: جعل لفظ عام في الأفعال كلها، ويتصرف على خمسة أوجه ؛ الأول: صار، نحو: جعل زيد يقول. قلت: الظاهر أن جعل هنا بمعنى « أنشأ وبدأ ». قال: والثاني: أوجد، كقوله: ﴿ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ﴾. والثالث: إخراج شيء من شيء، كقوله تعالى: ﴿ وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً ﴾. والرابع: تصيير شيء على حالة مخصوصة، كقوله تعالى: ﴿ جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا ﴾. والخامس: الحكم بالشيء على الشيء، فمثال ما كان منه حقًا قوله تعالى: ﴿ إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾. ومثال ما كان منه باطلاً قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالأَنْعَامِ نَصِيبًا ﴾. اهـ.

وأثبت بعضُهم سادسًا: وهو الوصف، ومثل بقوله تعالى: ﴿ وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلاَ يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلاَ يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴾، هذه الآية مطابقة للحديث تمام المطابقة، فالحديث يبين أن أشد الأعمال إثمًا وأعظمها ذنبًا عند الله تعالى هو اتخاذ الشريك والند والنظير والمثيل لله تعالى في العبادة، وفي نسبة الفعل إليه، وكذلك قتل النفس بغير حق وإن كان عظيمًا إلا أن قتل الولد أشد قبحًا ممن قتل من ليس بولد، ولا سيما إن كان ذلك خشية المشاركة في الرزق، متوهمًا أنه ينقص من رزق الأب؛ لأن الله تعالى هو الرزاق، قال تعالى: ﴿ وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاَقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء: ٣١].

وكذلك القول في الزناة، فإن الزنى من أعظم الفواحش، وذلك في عمومه، وهو أشد قبحًا عندما يكون بحليلة الجار ؛ لاشتماله على أذى الجار، بالإضافة إلى جريمة الزنى، والجار له حق على جاره، أدناه كف الأذى عنه، وذلك إن لم يستطع الإحسان إليه. قال ﷺ: « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره ».

« فساد طريقة المتكلمين »

قال ابن حجر رحمه الله تعالى: واستدل أبو المظفر السمعاني بآيات الباب وأحاديثه على فساد طريقة المتكلمين في تقسيم الأشياء إلى جسم وجوهر وعرض، قالوا: فالجسم ما اجتمع من الافتراق، والجوهر: ما حمل العرض، والعرض: ما لا يقوم بنفسه، وجعلوا الروح من الأعراض، وردوا الأخبار في خلق الروح قبل الجسد، والعقل قبل الخلق، واعتمدوا على حدسهم وما يؤدي إليه نظرهم، ثم يعرضون عليه النصوص، فما وافقه قبلوه، وما خالفه ردوه، ثم قال: وكان مما أمر النبي ﷺ بتبليغه التوحيد، بل هو أصل ما أمر به، فلم يترك شيئًا من أمور الدين وأصوله وقواعده وشرائعه إلا بلغه، ثم لم يَدْعُ إلى الاستدلال بما تمسكوا به من الجوهر والعرض، ولا يوجد عنه ولا عن أحد من

أصحابه من ذلك حرف واحد فما فوقه، فعرف بذلك أنهم ذهبوا خلاف مذهبهم، وسلكوا غير سبيلهم بطريق محدث مخترع لم يكن عليه رسول الله ﷺ ولا أصحابه رضي الله عنهم، ويلزم من سلوكه العود على السلف بالطعن والقدح ونسبتهم إلى قلة المعرفة واشتباه الطرق.

فالحذر من الاشتغال بكلامهم والاكتراث بمقالاتهم فإنها سريعة التهافت كثيرة التناقض، قال: وحسبك من قبيح ما يلزم من طريقتهم أنا إذا جرينا على ما قالوه وألزمنا الناس بما ذكروه لزم من ذلك تكفير العوام جميعًا، لأنهم لا يعرفون إلا الاتباع المجرد، ولو عرض عليهم هذا الطريق ما فهمه أكثرهم، فضلاً عن أن يصير منهم صاحب نظر، وإنما غاية توحيدهم التزام ما وجدوا عليه أئمتهم في عقائد الدين والعض عليها بالنواجذ، والمواظبة على وظائف العبادات وملازمة الأذكار بقلوب سليمة طاهرة عن الشبه والشكوك، فتراهم لا يحيدون عما اعتقدوه ولو قطعوا إربًا إربًا، فهنيئًا لهم هذا اليقين، وطوبى لهم هذه السلامة، فإذا كُفرٍّ هؤلاء وهم السواد الأعظم وجمهور الأمة فما هذا إلا طي بساط الإسلام وهدم منار الدين. والله المستعان. اهـ.

من أقر لله بالخلق والرزق فعليه أن يقر بتوحيد الألوهية

أخي المسلم؛ هكذا ترى المعتقد السليم هو ما أُخذ من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، وبفهم السلف الصالح، من غير تعقيد، ولا تلبيس، فإن آيات القرآن الكريم واضحة في توحيد الله تعالى وعدم الإشراك به، وتوعد من أشرك بالله تعالى بحبوط العمل والخسار في الدنيا والآخرة، وكذا أحاديث النبي ﷺ كلها داعية إلى توحيد الله تعالى وعدم الإشراك به، ولا سيما أن الناس جميعًا مقرون لله تعالى بالخلق والرزق، فيجب أن يقروا له بوحدانيته في العبادة وخلوصها له سبحانه، فلا يستغاث بغير الله، ولا يدعى سواه، ولا يخشى إلا الله، ولا يتوجه إلا إليه، ولا يتوكل إلا عليه، ولا يُذبح ولا ينذر إلا له، ولا يُحلف بغيره.

وبالجملة فلا يجوز صرف أي نوع من أنواع العبادة لغير الله تعالى من المخلوقين، ومهما كانت منزلة المخلوق فإنه لا يملك نفعًا ولا ضرًا ولا يملك موتًا ولا حياة ولا نشورًا، بل مالك ذلك كله رب العالمين، فهو المتصرف في الكون مدبر الأمر وحده، لا شريك له، فيجب أن تصرف العبادات كلها له وحده لا شريك له.

ويستفاد من الحديث:

١- بيان أن الشرك أعظم الذنوب عند الله تعالى، مع الاعتراف بأنه الخالق الرازق.

٢- الاستدلال بتوحيد الربوبية على توحيد الألوهية.

٣- أن أعظم الذنوب بعد الشرك قتل الولد خشية أن ينقص الرزق بسبب مشاركته لأبيه فيه.

٤- إيذاء الجار بأبلغ الأذى وهو الزنى بحليلته، وذلك يلي قتل الولد في عظم الذنب.

نسأل الله تعالى أن يرزقنا التوحيد والإخلاص، وأن يجنبنا الشرك وأهله. وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

التطاول على محمد ﷺ تطاول على إبراهيم وموسى وعيسى، عليهم السلام

لفضيلة الشيخ الدكتور عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس
إمام وخطيب المسجد الحرام

استنكر إمام وخطيب المسجد الحرام فضيلة الشيخ الدكتور عبد الرحمن السديس في خطبة الجمعة الحملات التي تشنها بعض الجهات الغربية على الإسلام وشخص الرسول ﷺ فقال:

في خضم تنامي اللغط والتلاسن الكلامي، ووسط زخم هائلٍ مغرضٍ من التحامل الإعلامي، وكيل الاتهامات جزافًا، وتعالي أصواتِ النُّشاز بضجيج مُسِفٍّ محموم، وفحيح مستعر مسموم عبر حملاتٍ مغرضة وهجماتٍ موتورة، أخرجت المكنونَ وأظهرت المدفونَ، ضد الإسلام ورسول الإسلام وأهل الإسلام، في ظل هذه الأجواء القاتمة يدرك الواعي اللبيب ويوقن الحصيف الأريب أن الأمة بل العالم بأسره بحاجة ماسَّة إلى التعرف على محاسن هذا الدين الفريدة، والتفهُّم لمزاياه وخصائصه الحميدة، تثبيتًا لأفئدة أهل الإيمان، وإحقاقًا للحق، وتصديًا لهذه الحملات الشرسة بالحُجج القاطعة والبراهين الساطعة، إسهامًا في التواصل الحضاري وتحقيق الأمن والاستقرار العالمي؛ لتسعد الإنسانية قاطبة بحياة أفضل، وتستشرف آفاقَ مستقبل أمثل: ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ [الأحزاب:٤].

شجرة الإسلام طيبة ومباركة !!

معاشر المسلمين: أرأيتم إلى الشجرة الباسقة عميقة الجذور ذاتِ العروق المتعدِّدة والأغصان المتكاثرة، لا تقوى على زعزعتها الرياحُ العاتية والأعاصير الهوجاء، وهي مع ذلك دانيةُ القطوف، دائمةُ الأُكُل والظل، حلوةُ الثمار، نضيدة الطلع، طيِّبة الجنى، إنها مثلُ الإسلام في محاسنه الجمة ومزاياه القمة، ﴿ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [إبراهيم:٢٥]، يقول ابن القيم رحمه الله: «والإخلاص والتوحيد شجرةٌ في القلب، فروعها الأعمال، وثمرها طيبُ الحياة في الدنيا والنعيمُ المقيم في الآخرة.

وأول ما يستوقف المتأملَ في محاسن هذا الدين ذلك الأصلُ المكين والأساس المتين في دوحة الإسلام الفيحاء وروضته الغناء، إنها العقيدة السمحة، عقيدةُ الصفاء والنقاء التي تسمو أن تكون مجرد فلسفات كلامية ونظريات جدلية وتعقيدات منطقية، إنها عقيدة تصل العالم كله بالله الواحد الأحد الصمد الذي لا شريك له ولا معبود بحق سواه، هو الأول بلا ابتداء، والآخر بلا انتهاء لا يفنى ولا يبيد، ولا يكون إلا ما يريد، ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى:١١]، برهانُها النقلُ الصحيح والعقل الصريح، تتمشى مع الطباع السليمة والفطر المستقيمة.

محاسن دين الإسلام !!

لقد جمعت العقيدةُ الإسلامية خلاصةَ الشرائع السماوية وجملة الرسالات الإلهية: ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلاَ تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ [الشورى:١٣]، وحوت في أصولها ومبادئها ما يتواءم وحاجة الإنسانية ويتواكب ومصلحة البشرية في كل زمان ومكان، وما يحقق مصالح العباد في المعاش والمعاد.

جاءت بالإيمان بجميع رسل الله عليهم صلوات الله وسلامه: ﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ [البقرة:١٣٦]، وجمعت الرسالات كلها في رسالة محمد، أخرج الشيخان من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله: «من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل».

فأيُّ عقيدةٍ أحقُّ وأحكم وأرحب وأقوم من هذه العقيدة التي تسلِّم الإنسانيةَ كلَّها إلى مصير واحد وإله واحد ورسالة خاتمة؟! ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا ﴾ [آل عمران:٦٤]، ولذا فإنَّ من كان نيِّرَ البصيرةِ مستقيم الفكر والنظر منصفَ الرؤى أدرك أنه الحق واليقين لما فيه من جميل المحاسن وجليل الفضائل.

إخوة الإيمان، ومنهلٌ آخرُ عذب تظهر فيه محاسنُ ديننا بجلاء، ذلكم هو ما اشتمل عليه من عبادات سامية، تطهر النفوس، وتزكي القلوب، وتهذب السلوك، ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ﴾ [التوبة:١٠٣]، وغير ذلك من العبادات، وهي مع ذلك في مقدور المكلف وحسب طاقته، لذلك يؤديها أهلُ الإيمان بنيةٍ خالصة وعزيمة صادقة، وتتشوف إليها نفوسُهم حفيَّةً بها مشتاقةً إليها.

ولم يقف الأمر في محاسن هذا الدين عند هذا الحد، بل تعدّاه إلى ميدان الحياة العملية، إذ هو ليس في عزلةٍ عن معترك الحياة وعن صور التعامل فيها بين بني البشر، بل هو الموجه لها بما يدفع إلى الغايات النبيلة والمقاصد الكريمة، وهذا يؤكد أن الإسلام في محاسنه نظامٌ كامل يشمل الدين والدنيا معًا، في تناسقٍ بديع وبناء محكم، نظَّم ما يقع بين الناس من ضروب تبادل المنافع وصور التعامل من بيع وشراء وإجارة وغيرها من العقود، وحث على العمل وشجع عليه، وجعله ضربًا من ضروب العبادة يُؤجر صاحبها عليه، فيا لله أيُّ نظام في محاسنه وفضائله أعظم من هذا؟! ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة:٥٠].

وثمةَ جانبٌ مهمٌ تجلّت فيه محاسنُ ديننا بأبهى صورها وأسمى معانيها، ذلكم هو الجانب الأخلاقي، فقد ربَّى الإسلام أتباعه على خير السجايا وأحسن وأكرم الخصال وأنبل الشمائل والخلال، حيث ينشُد الإسلامُ إقامةَ المجتمع المسلم المتماسك، والكيانَ العالمي الشامخ الذي تُرفرف على جنباته راياتُ المحبة والوئام وأعلامُ المودة والإيثار والسلام، وتربط بين أبنائه وشائج الحب المتبادل وأواصرُ الود المشترك والتعاون المشاع، يرسِّخ مبادئَ الحق والعدلِ والمساواة، ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ [الحجرات:١٣]، وينهى عن الظلم والتسلط والبغي والعدوان والفساد في الأرض: ﴿ وَلاَ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا ﴾ [الأعراف:٥٦]، كفل حقوق الإنسان بجدارة، وضمن له الحرية الشرعية، وصانه عن الانفلات والحياة

البهيمية، وقصد إلى حفظ دينه ونفسه وعقله وماله وعرضه، ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ [الإسراء:٧٠]، وهكذا، في مجال القضايا الاجتماعية أو ما يُعرف بالأحوال الشخصية، وقضايا المرأة والأسرة، وقل مثل ذلك في الحدود والجنايات، بل تعدى ذلك إلى الجماد والحيوان والبيئة والنبات، حيث تبرز في ذلك كلّه محاسنُ هذا الدين، ورعايته للمصالح، ودرؤه للمفاسد، والتزامُه بالقيم والفضائل، وردعُه للشرور والرذائل: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء:٨٢].

فضل الإسلام على الأنام !!

ومِشعلُ أخير الحقّ لألاء، يُشع النورَ والضياء في بيان محاسن هذا الدين، ذلكم هو ما اشتمل عليه من مقاصد عظمى وقواعد كبرى، كما لها أثر بالغ في شموله وعمومه وخلوده وصلاحيته لكل زمان ومكان. فمن كبريات قواعده اليُسر ورفعُ الحرج، ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة:١٨٥]، ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج:٧٨]، وذلك أوضح سمات شريعتنا الغراء، بل وجهُها المشرق الذي يتألق بهاءً وجمالا وعظمة وجلالا، في اعتدالٍ وتوسط يعبر عن ميزة فريدة تجمع المحاسن والفضائل جمّة، ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة:١٤٣]، فلا غلو ولا جفاء، ولا إفراط ولا تفريط، وكلا المسلكين طارئ على المنهج الشرعي الصحيح المتميز بالتوسط والاعتدال، يقول ابن القيم رحمه الله: «فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور وعن الرحمة إلى ضدها وعن المصلحة إلى المفسدة وعن الحكمة إلى العبث فليست من الشريعة، فالشريعة عدلُ الله بين عباده، ورحمتُه بين خلقه، وظله في أرضه، وحكمته الدالة عليه وعلى صدق رسوله.. إلى قوله رحمه الله: وهي العصمة للناس وقوام العالم وقُطب الصلاح والسعادة في الدنيا والآخرة.

وفي الجملة فدين الإسلام يحوي خيري الدنيا والآخرة ونعيم العاجلة والآجلة، فما من خير وفضيلة إلا حث عليها، وما من شر ورذيلة وفساد وجريمة إلا حذر منها، فمن تمسك به عاش سعيدًا ومات حميدًا، ومن أعرض عنه عاش عصيا ومات شقيا.

تلك إضاءةٌ من محاسن هذا الدين الغامرة، وشُعاعة من إشعاعاته الفياضة المتدفقة، تقدم للعالم اليوم في وقت هو أحوج ما يكون إليها وللإنسانية الحائرة في منعطف تاريخي خطير ومرحلة من أشد مراحل تاريخها المعاصر، لعلها تُسهم في تفتُّح الأبصار والبصائر إلى هذا الدين القويم الذي نوقن أنه صمامُ الأمان ومركب النجاة للحيارى والتائهين الذين يتخبطون في دياجير الشك والظلمات ودهاليز الظُّلم والشعارات، وما يحمل الغيور على التذكير بهذا الموضوع إلا حبُّ الخير للإنسانية جميعًا، فلقد منّ الله علينا فهدانا لهذا الدين، وتذوقنا حلاوة محاسنه، ونرى أن من العقوق للإنسانية الحيرى والتقصير في الدعوة إلى الحق أن لا ندل من ضل الطريق إليه، ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ [الأنفال:٤٢].

وبعد: فيا أيها الناس، هذا هو ديننا، وهذا ما يتميز به إسلامنا، فلماذا الحملات عليه؟ وإلى متى الهجوم عليه؟ ولمصلحة من يستمر التطاول عليه؟

بيدَ أنّ ثمّة ملحظًا مهمًا، ينبغي على المنصفين العقلاء الشرفاء الحكماء أن يتبصروه، وهو أن تقصير بعض المسلمين في الالتزام بهذه المحاسن والفضائل ليس عيبًا في الإسلام نفسه، فمن المسلّمات أن خطأ أي شخصٍ في تطبيق نظام ما ليس عيبًا في النظام نفسه، فخطأ القاضي مثلا ليس قدحًا في الشرع ذاته، وتجاوز الطبيب ليس عيبًا في مهنة الطب، وهكذا دواليك، وليس يُعاب الدين من جهل مسلم.

وإذا قامت الحجةُ واتّضحت المحجة فقد حصل الإعذار، وليس يفيد الأعمى قوةُ الأنوار: ﴿فَلاَ تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [فاطر:٨].

وما علينا إذا سكنا الرّشادا
أصدودًا لقينا أو عنادًا

﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ [النور:٤٠].

فالله الله. عباد الله. في التمسك بدينكم والثبات عليه، لا سيما في عصر الفتن وغربة الإسلام، وفي زمن التحديات الجسام والأخطار العظام، وحذار من استفزازات المرجفين وإثارات حملات الموتورين: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلاَ يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لاَ يُوقِنُونَ﴾ [الروم:٦٠].

ألا فاتقوا الله عباد الله، واجعلوا من أنفسكم صورًا مشرقة ومرايا صادقة تعكس محاسن هذا الدين وجمالياته، وتُترجم للعالم بصورة عملية مزايا هذا الدين وإشراقاته وفضائله وأخلاقياته، والدعوة موجهةٌ إلى علماء الشريعة ورجال الدعوة والإصلاح ووسائل الإعلام لإبراز هذه المحاسن وترجمتها إلى واقع عملي

وسلوك تطبيـقي، وهذا خيـر عـلاج وأنجع دواء تتصدى الأمة من خلاله لمواجهة الحملات المغرضة ضد دينها وعقيدتها وبلادها. ﴿وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [التوبة:٣٢].

القدوة في محمد ﷺ

عبـاد الله، الإمـامُ القـدوة والحجـة والأسـوة في تطبيق هذه المحاسن والدعوة إلى هذه الفضائل هو الشخصيةُ الفذّة التي تتضاءل أمامها شخصياتُ التاريخ، هو إمامُنا وقدوتنا سيدُ ولد آدم أجمعين، أفضل البشرية، وخير البرية، محمد بن عبد الله بن عبد المطلب عليه من الله أزكى صلاة وأفضل تحية، أرسله الله رحمة للعالمين، وبعثه مولاه ليتمم مكارم الأخلاق بآبائنا هو وأمـهـاتنا وأنفـسنا وأزواجنا وذرياتنا وأموالنا والناس أجمعين. وحسبنا الله ونعم الوكيل على كل منتقص لرسالته أو متطاول على شخصيته.

يا أمة محمد عليه الصلاة والسلام، إن مما يملأ القلوب أسى وكمدًا أن يصل الأمر مداه ويبلغ السيل زُباه في شن الحملات المغرضة على هذا النبي ﷺ، فيوصف رسول الرحمة والهدى بأوصاف بشعة وألقاب بذيئة عبر رسوم ساخرة ومقالات ماكرة وقنوات فاجرة دعية موتورة، مأزورة غير مأجورة، في تحدٍّ لمشاعر مليار ونصف مليار من المسلمين.

أي عين يجمل بها أن تُبقي دمعةً في ماقيها وهي ترى شخصية قُرّتها عليه الصلاة والسلام يُنال منها ويُتطاول عليها؟!

ولله در خبيب رضي الله عنه القائل: (ما أحب أن يُشاك محمد بشوكة تضره في جسده).

إن أتباع رسول الإسلام والسلام ليستنكرون أشدَّ الاستنكار هذا الإسفاف والاستخفاف الذي يُعد نتيجة لتراكمات هائلة من النزعات العنصرية البغيضة، والذي يحمل في طياته من الأبعاد والأهداف ما يحرض الشعوب ضد الإسلام، وينفرها من حضارته المشرقة ورسالته المتألقة ذات القيم والفضائل الراسخة وما يبرر أعمال الحقد والكراهية ونظرات التمييز والتفرقة ضد المسلمين في وقت تعلي فيه قضايا الحوار الحضاري العالمي.

إن تكرار هذه الإساءات المتعمدة التي يثيرها بين الفينة والأخرى كل دعيٍّ مأفون وزنيم موتور من بعض متطرفي الملل لتأجيج الصراع ضد مبادئ الإسلام الحضارية وتعاليمه السمحة، ولتأليب الرأي العام العالمي ضد أهل الإسلام، وتكريس الصورة النبطية السلبية عنهم، إن من شأن ذلك أن يحول علاقات الشعوب من التعايش والتفاهم إلى الصراع والتصادم، مما يجرُّ الويلات للإنسانية والشقاء للبشرية، فأين الإنصاف والمصداقية؟! وأين الحيدة والموضوعية؟! ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ﴾ [المائدة:٧٧].

والحق ما شهدت به الأعداء!!

اسمعوا إلى شهادات بعض منصفيهم، يقول بعضهم: «ولسنا نجد في التاريخ كله معلمًا كمحمد..، ولقد ظلَّ الإسلام بقيادة محمد.. وأتباعه يتزعم العالم كلَّه في القوة والنظام وجميل الطباع والأخلاق، وفي ارتفاع مستوى الحياة، وفي التشريع الإنساني الرحيم والتسامح الديني والآداب والبحث العلمي.. إلى آخر كلامه، ويقول آخر: «إن البشرية لتفتخر بالانتساب إلى رجل كمحمد.. إذ إنه رغم أميته استطاع قبل بضعة عشر قرنًا أن يأتي بمنهج سنكون نحن أسعد ما نكون لو وصلنا إليه بعد كذا وكذا سنة» والفضل ما شهدت به الأعداء.

فأين هؤلاء المتخرصون بزعم عن المنصفين بدعم؟! ألا فليعلم هؤلاء أن التطاول على شخصية محمد تطاولٌ على إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام، بل على مقام مرسلهم سبحانه، تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرا.

واجب أتباع محمد ﷺ

ومع أن هذه التخرصات والترهات لن تنال من مقام النبوة ولن تحط من شرف الرسالة، بل لا تزيدها. والله، إلا رفعة وإشراقا، إلا أن الواجب على أتباع سيد الأنام عليه الصلاة والسلام التصدي الواعي لهذه الحملات المشبوهة، من خلال منهجية مدروسة وآلية مؤسسة مرسومة، تعتمد الحوار العلمي الراقي والمنهج الموضوعي الناضج والأسلوب الحكيم الواعي، لنشر المعلومات الصحيحة عن الإسلام وشخصية رسوله، واستثمار الترجمة ووسائل الإعلام وقنواته الفضائية وشبكاته المعلوماتية، وحشد طاقات الأمة أفرادًا ومجتمعات ومؤسسات للتنسيق والتصدي لهذه الحملات بالتأصيل الأمثل والأسلوب الأفضل، ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف:٢١].

«الحجاب الشرعي للمرأة المسلمة»

للشيخ/
محمد صفوت نور الدين
رحمه الله

الحلقة الأخيرة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فقد انتهينا في العدد السابق إلى ما ذكرناه مما يستند إليه الداعون إلى التساهل في حجاب المرأة من قصة المرأة الخثعمية، والمرأة الواهبة نفسها للنبي ﷺ، والمرأة سفعاء الخدين.

وفي هذا العدد نجيب- إن شاء الله تعالى- على الحالات الثلاث:

الأولى: قصة المرأة الخثعميّة التي كانت تسأل رسول الله ﷺ؛ ويستدلون بها، ونصها: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أردف رسول الله ﷺ الفضل بن عباس رضي الله عنهما يوم النَّحر خلفه على عجز راحلته، وكان الفضل رجلا وضيئًا، فوقف النبي صلي الله عليه وسلم للناس يفتيهم، وأقبلت امرأة من خثعم، وضيئة، تستفتي رسول الله ﷺ، فطفق الفضل ينظر إليها، وأعجبه حسنها فالتفت النبي ﷺ، والفضل ينظر إليها، فأخلف بيده. فأخذ بذقن الفضل فعدل وجهه عن النظر إليها، فقالت: يا رسول الله إن فريضة الله في الحج على عباده، أدركت أبي شيخًا كبيرًا» الحديث. فالإخبار عن الخثعميّة بأنها وضيئة يفهم منه أنها كانت كاشفة وجهها.

وأجاب عن ذلك الشيخ الشنقيطي رحمه الله من وجهين:

الأول: ليس في شيء من روايات الحديث التّصريح بأنها كانت كاشفة وجهها، وأن النبيّ ﷺ رآها كاشفة عنه، وأقرها على ذلك، بل غاية ما في الحديث أنها وضيئة، وفى بعض روايات الحديث أنها حسناء، ومعرفة كونها وضيئة أو حسناء، لا يستلزم أنها كانت كاشفة عن وجهها، وأنه ﷺ أقرها على ذلك، بل قد ينكشف عنها خمارها من غير قصد، فيراها بعض الرجال من غير قصد كشفها عن وجهها.

ويحتمل أن يكون عرف حسنها قبل ذلك الوقت. لجواز أن يكون قد رآها قبل ذلك وعرفها.

ومما يوضح ذلك أن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، الذي روى الحديث هذا، لم يكن حاضرًا وقت نظر أخيه إلى المرأة، ونظرها إليه، لأن النبي ﷺ، قدّمه بالليل من مزدلفة إلى منى في ضعفة أهله، ومعلوم أنه إنما روى الحديث المذكور، عن طريق أخيه الفضل، وهو لم يقل له إنها كانت كاشفة عن وجهها. واطّلاع الفضل على أنها وضيئة حسناء، لا يستلزم النظر قصدًا، لاحتمال أن يكون رأى وجهها، وعرف حسنه من أجل انكشاف خمارها من غير قصد منها. واحتمال أنه رآها قبل ذلك وعرف حسنها.

فإن قيل: قوله إنها وضيئة، وترتيبه على ذلك بالفاء، في قوله: فطفق الفضل ينظر إليها، وقوله: وأعجبه حسنها، فيه الدلالة الظاهرة على أنه كان يرى وجهها، وينظر إليه لإعجابه بحسنها.. فالجواب أن تلك القرائن، لا تستلزم أنها كانت كاشفة، وأن النبي ﷺ رآها كذلك، وأقرها لما مرّ من أنواع الاحتمال، مع أن جمال المرأة قد يعرف، وينظر إليها لجمالها وهى مختمرة، وذلك لحسن قدّها وقوامها، وقد تعرف وضاءتها وحسنها، من رؤية بنانها، فقط، كما هو معلوم، ولذلك فسّر ابن مسعود: ﴿وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ بالملاءة فوق الثوب.

والعرب في أشعارهم يبالغون في حسن قوام المرأة، مع أن العادة كونه مستورًا بالثياب لا منكشفًا.

الوجه الثاني: أن المرأة محرمة، وإحرام المرأة في وجهها وكفّيها، فعليها كشف وجهها، ما لم يكن هناك رجال أجانب ينظرون إليها، وعليها ستره من الرجال في الإحرام، كما هو معروف عن أزواج النبي ﷺ وغيرهن، ولم يقل أحد إن هذه المرأة الخثعميّة نظر إليها أحد غير الفضل بن عباس، والفضل منعه النبي من النظر إليها، وبذلك يعلم أنها محرمة، لم ينظر إليها أحد، فكشفها عن وجهها إذًا لإحرامها لا لجواز السفور.

فإن قيل: كونها مع الحجاج، مظنة أن ينظر الرجال وجهها إن كانت سافرة، لأن الغالب أن المرأة السافرة وسط الحجيج، لا تخلو ممن ينظر إلى وجهها، فالجواب: أن الغالب على أصحاب النبي ﷺ، الورع وعدم النظر إلى النساء، فلا مانع عقلا ولا شرعًا، ولا عادة من كونها لم ينظر إليها أحد فيهم ولو نظر إليها لحكي، كما حكي نظر الفضل إليها، ويفهم من صرف النبي ﷺ وجه الفضل عنها، أنه لا سبيل إلى ترك الأجانب ينظرون إلى الشابة وهي سافرة، كما ترى وقد دلّت الأدلة العديدة على أنها يلزمها حجب جميع بدنها عنهم.

وبالجملة: فإن المنصف يعلم أنه يبعد كل البعد أن يأذن الشارع للنساء في الكشف عن الوجه أمام الرجال الأجانب مع أن الوجه هو أصل الجمال. والنظر إليه من الشابة الجميلة هو أعظم مثير للغريزة البشرية، وداع إلى الفتنة والوقوع فيما لا ينبغي.

الثانية: حكاية المرأة التي وهبت نفسها للنبي ﷺ، وجاء فيه أن النبي ﷺ صعّد فيها النظر، ولم يأمرها بالتستر عن الحاضرين.

فهذا يدل أولا على جواز نظر الخاطب للمرأة التي يرغب في الزواج منها، وأهم ما ينبغي النظر إليه الوجه، وما يظهر عادة كاليدين والقدمين، لأن الوجه هو مجمع المحاسن للمرأة، كما قال النبي ﷺ: «إذا خطب أحدكم المرأة، فإن استطاع أن ينظر إلى ما يدعوه إلى نكاحها فليفعل» قال جابر بن عبد الله راوي الحديث: فخطبت امرأة فكنت اتخبأ لها، حتى رأيت منها ما دعاني إلى نكاحها فتزوجتها».. وفي حديث آخر قال عليه الصلاة والسلام: «اذهب فانظر إليها، لعله يؤدم بينكما»، فصار النظر في حالة الخطبة، كالإدام مع الطعام، الذي يشهّى الطعام، وعلّله المصطفى عليه الصلاة والسلام: بما عند الأنصار من أثر النظرة، التى بها ينجذب القلب للإقدام، أو ينصرف فيحصل الإحجام.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى: فلعل ذلك الوقت، الذي جاءت فيه المرأة لتهب نفسها للنبي ﷺ، كان قبل فرض الحجاب مما جعل النبي ﷺ لم يأمرها بالتستر عن الحاضرين. وهذا ما يراه كثير من العلماء، منهم الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله، في دروسه على بلوغ المرام، حيث قال: كان هذا - والله أعلم - قبل الأمر بالحجاب، ويجب حمله على هذا.

الثالثة: ما جاء في حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، الذي جاء فيه بعد وعظه عليه الصلاة والسلام النساء، فقامت امرأة من سِطَةِ النساء سفعاء الخدّين، فقالت: ولم يا رسول الله؟ فلو لم تكن كاشفة لم توصف بذلك.

ونص الحديث الثابت في الصحيح، الذي استدلوا به على كشف وجه المرأة: قال جابر: شهدت مع رسول الله ﷺ الصلاة يوم العيد، فبدأ بالصلاة، قبل الخطبة بغير آذان ولا إقامة ثم قام متوكئًا على بلال، فأمر بتقوى الله، وحثّ على طاعته، ووعظ الناس وذكّرهم ثم مضى حتى أتى النساء فوعظهن وذكرهن، فقال: «تصدقْنَ فإن أكثركن حطب جهنم، فقامت امرأة من سطة النساء سفعاء الخدين فقالت: ولم يا رسول الله؟. قال: لأنكنّ تكثرن الشكاة، وتكفرن العشير. قال: فجعلن يتصدقن من حليهن، يلقين في ثوب بلال، من أقراطهن وخواتيمهن». هذا لفظ مسلم في صحيحه..

قالوا: وقول جابر في هذا الحديث: سفعاء الخدين، يدل على أنها كانت كاشفة عن وجهها، إذْ لو كانت محتجبه لما رأى خديها، ولما علم أنها سفعاء الخدين..

وقد أجاب الشيخ الشنقيطي رحمه الله في تفسيره أضواء البيان عن حديث جابر هذا: بأنه ليس فيه، ما يدل على أن النبي ﷺ رآها كاشفة عن وجهها، وأقرها على ذلك، بل غاية ما يفيده الحديث أن جابرًا رضي الله عنه رأى وجهها، وذلك لا يستلزم كشفها عنه قصدًا، وكم من امرأة

يسقط خمارها عن وجهها من غير قصد، فيراه بعض الناس، في تلك الحال.

فعلى المحتجّ بحديث جابر المذكور، أن يثبت أنه ﷺ رآها سافرة، وأقرها على ذلك، ولا سبيل له إلى إثبات ذلك.

وقد روى القصة المذكورة غير جابر، فلم يذكر كشف المرأة المذكورة عن وجهها، وقد ذكر مسلم في صحيحه ممن رواها غير جابر، أبا سعيد الخدري، وابن عباس وابن عمر، وذكره غيره عن غيرهم، ولم يقل أحد ممن روى القصة غير جابر، أنه رأى خدي تلك المرأة، السفعاء الخدين، وبذلك يعلم أنه لا دليل على السفور في حديث جابر المذكور، ويفيده ما جاء في إحدى الروايات: سفعاء الخدين هذا كلام القاضي.

- وقد يستدلون أيضا بما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما في تفسيره: «إلا ما ظهر منها» بالوجه والكفّين، فإن هذا محمول على حالة النساء قبل نزول الحجاب، أما بعد ذلك، فقد أوجب الله عليهن ستر الجميع. كما هو النصّ الكريم من الآيات الكريمات في الحجاب: في سورة الأحزاب وسورة النور كما مرَّ بنا.

ويدل على أن ابن عباس رضى الله عنهما أراد ذلك ما رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما: أنه قال: أمر الله نساء المؤمنين، إذا خرجن من بيوتهن في حاجة، أن يغطين وجوههن من فوق رؤوسهن بالجلابيب، ويبدين عينًا واحدة.

وقال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله تعليقًا على قول ابن عباس هذا: وقد نبّه على ذلك شيخ الإسلام ابن تيميّة وغيره من أهل العلم والتحقيق، وهو الحق الذي لا ريب فيه، ومعلوم ما يترتب على ظهور الوجه والكفين من الفساد والفتنة..

ثم قال: والآية المذكورة ﴿وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾: حجة ظاهرة، وبرهان قاطع، على تحريم سفور النساء، وتبرّجهن بالزينة.

وفى الختام نقول: إنه في الوقت الذي يرغب، بل يدعو كثير من المسلمين المرأة المسلمة أن تنزع حجاب الحشمة والوقار، الذي هو أمر من الله جلّ وعلا بنصّ صريح في القرآن الكريم. لتتشبه بالمرأة الغربية والشرقية، التي لم تستمد منهجها من تعاليم الإسلام، مثلما قاد هذه الحملة قاسم أمين وغيره، بكتبهم ومقالاتهم، نرى المرأة الغربيّة، تتوق لهذا الحجاب، وترى فيه حماية ووقارًا للمرأة ويدعو إليه بعض عقلائهم أيضا، لما رأوا من أثر السفور والتبرج في مجتمعاتهم من نتائج سيئة ومصائب سببها ذلك التبرج والسفور، ومخالطة المرأة للرجل في ميدان العمل والاختلاط على مقاعد الدراسة، وخاصة في المرحلة الجامعية.

ومن المناسب في هذا المقام الاستئناس بشيء مما قاله سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله في دلالة قول الله سبحانه: ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللاَّتِي لاَ يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور:٦٠]، في إجابة لمن سأله عن أهمية الغطاء على وجه المرأة، وحكم عمل المرأة إذْ قال: ووجه الدلالة في هذه الآية، على وجوب تحجب النساء، وهو ستر الوجه وجميع البدن عن الرجال غير المحارم، أن الله رفع الجناح عن القواعد، اللائى لا يرجون نكاحًا، وهنّ العجائز، إذا كنّ غير متبرجات بزينة، فعلم بذلك أن الشّابّات، يجب عليهن الحجاب، وعليهن جناح في تركه، وهكذا العجائز المتبرجات بالزينة، عليهن أن يحتجبن لأنهن فتنة ثم إنه سبحانه أخبر في آخر الآية أن استعفاف النساء القواعد، غير المتبرجات خير لهنّ وما ذاك إلا لكونه أبعد لهن من الفتنة.

وقد ثبت عن عائشة رضى الله عنها كما في الصحيحين ما يدل على أن كشف الوجه للمرأة كان في أول الإسلام، ثم نسخ بآية الحجاب، وبذلك يعلم أن حجاب المرأة أمر قديم، من عهد النبي ﷺ. قد فرضه الله سبحانه، وليس من عمل الأتراك.

نسأل الله أن يبصّر المسلمين، بفهم نصوص الله الذي شرع، وحسن الاتباع لسنة نبينا محمد ﷺ، وأن يعين الجميع على إحياء السنة، والبعد عن مضلات الفتن، وأن يجمع كلمة المسلمين على الحق ويصلح شبابهم ونساءهم، وقيادتهم.. وأن يرزقهم العلم النافع والعمل الصالح، إنه ولى ذلك والقادر عليه. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

سيد العلماء أيوب السختياني

إعداد: مجدي عرفات

اسمه ونسبه: هو الإمام الحافظ سيد العلماء أبو بكر أيوب بن أبي تميمة كيسان العنزي مولاهم السختياني البصري.

مولده: ولد سنة ثمان وستين، عام توفي ابن عباس، ورأى أنس بن مالك.

شيوخه: سمع من سعيد بن جبير، وأبي العالية الرياحي، وأبي قلابة الجرمي، ومجاهد بن جبر، والحسن البصري، ومحمد بن سيرين، وعكرمة مولى ابن عباس، وعطاء بن أبي رباح، ونافع مولى ابن عمر، وقتادة، والقاسم بن محمد بن أبي بكر، والأعرج، وخلق سواهم.

الرواة عنه: روى عنه من شيوخه ابن سيرين، وعمرو بن دينار، والزهري، وقتادة، وروى عنه من غيرهم شعبة، وسفيان الثوري، ومالك، ومعمر، وحماد بن سلمة، وحماد بن زيد، وابن علية، وهشيم بن بشير، وسفيان بن عيينة، وعبد الوهاب الثقفي، وأمم غيرهم.

ثناء العلماء عليه

قال الحسن: أيوب سيد شباب أهل البصرة.

قال ابن عيينة: ما رأيت مثل أيوب، وكان قد لقي ستة وثمانين من التابعين.

قال هشام بن عروة: ما رأيت بالبصرة مثل أيوب السختياني.

قال شعبة: أيوب سيد الفقهاء.

قال الثوري: ما رأيت بالبصرة مثل أربعة، فبدأ بأيوب.

قال أبو عوانة: رأيت الناس ما رأيت مثل هؤلاء: أيوب، ويونس، وابن عون.

قال سلام بن أبي مطيع: ما فقنا أهل الأمصار في عصر قط إلا في زمن أيوب ويونس وابن عون، لم يكن في الأرض مثلهم.

قال ابن المديني: لما سُئل عن أصحاب نافع فقال: أيوب وفضلُهُ ومالك وإتقانُهُ، وعبيد الله وحفظُهُ.

قال ابن سعد: كان ثقة ثبتًا في الحديث جامعًا، كثير العلم حجة عدلاً.

وسُئل أبو حاتم عنه فقال: ثقة لا يُسأل عن مثله.

قال حماد بن زيد: أيوب عندي أفضل من جالسته وأشده اتباعًا للسنة. قال النسائي: ثقة ثبت.

قال أبو نعيم: ومنهم فتى الفتيان، سيد العباد والرهبان، المنور باليقين والإيمان، السختياني أيوب بن كيسان، كان فقيهًا محجاجًا، وناسكًا حجاجًا، عن الخلق آيسًا وبالحق آنسًا.

قال الذهبي: إليه المنتهى في الإتقان.

قال ابن حجر: ثقة ثبت حجة من كبار الفقهاء العباد.

من أحواله وأقواله

قال مالك: كنا ندخل على أيوب السختياني فإذا ذكرنا له حديث رسول الله ﷺ بكى حتى نرحمه.

قلت: ففي الحديث الترهيب والترهيد في الدنيا، بخلاف العلوم التي يبتغيها أهلها بعيداً عن حديث رسول الله ﷺ.

قال سلام بن أبي مطيع: كان أيوب السختياني يقوم الليل كله، فيخفي ذلك، فإذا كان عند الصبح رفع صوته كأنه قام تلك الساعة.

قال حماد: ما رأيت رجلاً قط أشد تبسمًا في وجوه الرجال من أيوب.

وقال أيضًا: كان أيوب لا يقف على آية إلا إذا قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ سكت سكتة.

قال شعبة: ما واعدت أيوب موعدًا قط إلا قال

حين يفارقني: ليس بيني وبينك موعد، فإذا جئت وجدته قد سبقني.

قال الخليل بن أحمد: لحن أيوب في حرف فقال: أستغفر الله.

وقال حماد بن زيد: كان أيوب في مجلس فجاءته عبرة (الدموع والبكاء)، فجعل يتمخط ويقول: ما أشد الزكام. قلت: يُخفي البكاء عن جلسائه خوفًا من الرياء.

قال يونس بن عبيد: ما رأيت أحدًا أنصح للعامة من أيوب والحسن.

قال هشام بن حسان: أيوب السختياني حج أربعين حجة.

روى ضمرة عن ابن شوذب قال: كان أيوب يؤم أهل مسجده في شهر رمضان ويصلي بهم في الركعة قدر ثلاثين آية ويصلي لنفسه فيما بين الترويحتين بقدر ثلاثين آية، وكان يقول هو بنفسه للناس: الصلاة، ويوتر بهم ويدعو بدعاء القرآن ويؤمّن من خلفه، وآخر ذلك يصلي على النبي ﷺ ويقول: اللهم استعملنا بسنته وأوزعنا بهديه واجعلنا للمتقين إمامًا ثم يسجد، فإذا فرغ من الصلاة دعا بدعوات.

قلت: يدعو بعد الركوع وليس قبل الركوع ودعاء القرآن ليس هو دعاء ختم القرآن المبتدع.

قال حماد: غلبه البكاء مرة فقال: الشيخ إذا كبر مجّ.

قلت: مجّ (كثر ريقه فأخرجه)، وقوله هذا إخفاء لما به من البكاء.

قال حماد: لو رأيتم أيوب ثم استقاكم شربة على نسكه لما سقيتموه، له شعر وافر، وشارب وافر، وقميص جيد هروي، يشم الأرض، وقلنسوة متركة جيدة، وطيلسان كُردي جيد، ورداء عدني، يعني: ليس عليه شيء من سيما النساك ولا التصنع.

قلت: حتى لا يظهر زهده، غير أنه لا يجوز أن يجر القميص على الأرض، إن كان المقصود بالشم الجر على الأرض.

قال حماد: كان لأيوب بُرد أحمر يلبسه إذا أحرم، وكان يُعده كفنًا، وكنت أمشي معه، فيأخذ في طرق إني لأعجب له كيف يهتدي لها فرارًا من الناس أن يقال: هذا أيوب.

قال حماد: كان أيوب يبلغه موت الفتى من أصحاب الحديث فيرى ذلك فيه، ويبلغه موت الرجل يذكر بعبادة فما يرى ذلك فيه.

قال شعبة: ربما ذهبت مع أيوب لحاجة فلا يدعني أمشي معه ويخرج من هاهنا وهاهنا لكي لا يفطن له.

قال أيوب رحمه الله: لا خبيث أخبث من قارئ فاجر.

وكان يقول: ليتق الله رجلٌ، فإن زهد فلا يجعلن زهده عذابًا على الناس فلأن يخفي الرجل زهده خير من أن يعلنه.

قال سلام بن أبي مطيع: رأى أيوب رجلاً من أصحاب الأهواء، فقال: إني لأعرف الذلة في وجهه، ثم تلا: ﴿سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ﴾، ثم قال: هذه لكل مفتر، وكان يسمي أصحاب الأهواء خوارج ويقول: إن الخوارج اختلفوا في الاسم واجتمعوا على السيف.

قال له رجل من أصحاب الأهواء: يا أبا بكر: أسألك عن كلمة؟ فولّى وهو يقول: ولا نصف كلمة، مرتين.

قلت: هربًا من أهل البدع، فإن قربهم داء، والنجاة في البعد عنهم.

قال له صالح بن أبي الأخضر: أوصني، قال: أقل الكلام.

قال- وذكر المعتزلة-: إنما مدار القوم على أن يقولوا: ليس في السماء شيء.

قلت: لأنهم يعطلون الله عن صفاته فيقولون: لا يستوي على العرش، تعالى الله عما يقولون.

قال: ما صدق عبد قط فأحب الشهرة.

قال: القرآن كلام الله غير مخلوق.

قلت: لأن القرآن كلام الله، وهو صفة من صفاته وصفاته تعالى ليست مخلوقة.

قال: إن من سعادة الحدث (الصغير السن) والأعجمي أن يوفقهما الله لعالم من أهل السنة.

قلت: لأن للشيخ الأثر القوي على التلميذ، قال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾.

قال رحمه الله: إن الذين يتمنون موت أهل السنة يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون.

قال: إني لأخبر بموت الرجل من أهل السنة وكأني أفقد بعض أعضائي.

قال لعمارة بن زاذان: إذا كان الرجل صاحب سنة وجماعة فلا تسأل عن أي حال كان فيه.

وفاته: توفي رحمه الله سنة إحدى وثلاثين ومائة عن ثلاث وستين سنة.

المراجع

- «شرح السنة» للالكائي
- «حلية الأولياء»
- «سير أعلام النبلاء»
- «تهذيب الكمال»
- «تقريب التهذيب»

جمع القرآن وتدوينه

الحلقة الأولى

إعداد: مصطفى البصراتي

كلمة جمع القرآن تطلق تارة ويراد منها حفظه واستظهاره في الصدور، وتطلق تارة أخرى ويراد منها كتابته كله حروفًا وكلمات وآيات وسورًا، هذا جمع في الصحائف والسطور، وذاك جمع في القلوب والصدور.

ثم إن جمعه بمعنى كتابته حدث في الصدر الأول ثلاث مرات:

الأولى: في عهد النبي ﷺ.

الثانية: في خلافة أبي بكر.

والثالثة: على عهد عثمان، وفي هذه المرة الأخيرة نسخت المصاحف وأرسلت إلى الآفاق.

أولاً: في عهد النبي ﷺ:

نزل القرآن الكريم جملة واحدة في ليلة القدر من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا، فكان نزوله حدثًا جليلاً أشعر العالم العلوي من ملائكة الله بشرف الأمة المحمدية التي أكرمها الله بهذه الرسالة لتكون خير أمة أخرجت للناس، ثم بدأ ينزل منجمًا ؛ أي مفرقًا في ثلاث وعشرين سنة: منها ثلاث عشرة بمكة- على الرأي الراجح - وعشر بالمدينة، فكان ينزل بحسب الحاجة؛ خمس آيات وعشر آيات وأكثر وأقل من ذلك لحكم بليغة؛ منها تثبيت فؤاد رسول الله ﷺ، وتيسير وتسهيل حفظه وفهمه، والتدرج في التشريع، وغير ذلك، وكان نزول القرآن آنذاك على سبعة أحرف لتيسير قراءته وحفظه على قوم أميين، لكل قبيلة منهم لهجة ولسان، ولا عهد لهم بحفظ الشرائع، وتحقيقًا لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾ [القمر:١٧].

والأحاديث في هذا المعنى كثيرة حتى تواتر عن رسول الله ﷺ أن القرآن أنزل على سبعة أحرف أذكر منها ما رواه البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «أقرأني جبريل عليه السلام على حرف فراجعته فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف».

قال الزرقاني: وفي تعدد النزول وأماكنه، مرة في اللوح، وأخرى في بيت العزة، وثالثة على قلب النبي ﷺ ؛ في ذلك التعدد مبالغة في نفي الشك عن القرآن وزيادة للإيمان وباعث على الثقة فيه ؛ لأن الكلام إذا سُجل في سجلات متعددة، وصحت له وجودات كثيرة كان ذلك أنفى للريب وأدعى إلى تسليم ثبوته، وأدنى إلى وفرة الإيقان به مما لو سجل في سجل واحد أو كان له وجود واحد. [«مناهل العرفان» (ص٤٦)].

ولقد كان رسول الله ﷺ يلقى من المعاناة والشدة عند نزول الوحي عليه، وقد كان يزيد من هذه الشدة حرصه الشديد على حفظ ما يلقى من الوحي، فكان ﷺ يعجل بتحريك لسانه وشفتيه بما يلقى إليه مخافة أن يضيع منه شيء، فنهاه الله عز وجل عن ذلك وأمره بالإنصات الكامل، وضمن الله له أن يجمع له القرآن في صدره وأن ينطقه على لسانه وأن يبين له معناه، قال تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ (١٦) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (١٧) فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (١٨) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ [القيامة: ١٦- ١٩].

يقول ابن كثير في تفسير الآية: هذا تعليم من الله عز وجل لرسوله ﷺ في كيفية تلقيه الوحي من الملك فإنه كان يبادر إلى أخذه ويسابق الملك في قراءته فأمره عز وجل إذا جاءه الملك بالوحي أن يستمع له وتكفل الله له أن يجمعه في صدره وأن ييسره لأدائه على الوجه الذي ألقاه إليه وأن يبينه له ويفسره ويوضحه، فالحالة الأولى جمعه في صدره والثانية تلاوته والثالثة تفسيره وإيضاح معناه.

وبهذا، ومع نزول هذه الآية الكريمة يتحقق أول جمع للقرآن على الصعيد البشري ممثلا في حفظه ﷺ للقرآن، مع توثيق إلهي من الله عز وجل بضمان الحفظ والقراءة والبيان وانطلاقا من هذا الجمع الموثق من الله عز وجل، بدأت حركة انتشار واسع ودائم ومستمر عبر الأجيال والقرون.. بدأت هذه الحركة بإقبال صحابة النبي ﷺ في تلهف على تلقف القرآن من فمه الطاهر ثم العكوف على تلاوته والحرص على محاكاته والتصميم على حفظه حتى أصبح شأن الآيات النازلات وكأنها تنتقل من صدر رسول الله ﷺ على لسانه الطاهر لتنقش بهيئاتها وكيفياتها في صدور صحابته، لينقلوها بدورهم إلى من بعدهم - بهيئاتها وكيفياتها - وهكذا من وقتها ذاك وإلى وقتنا هذا، ثم إلى أن يرث الله الأرض وما عليها، كما قد صاحب هذا الجمع الأول الموثق من الله عز وجل جمع تدويني بشري تمثل في استدعائه ﷺ فور نزول الوحي لواحد أو أكثر من الكُتَّاب - والذين اشتهروا فيما بعد بكُتاب الوحي - ليكتب من إملائه ﷺ وتحت نظره وإشرافه وتوجيهه ما أوحي إليه من آيات.

وطبيعي أن تتم الكتابة على الطريقة المعروفة في وقتها وبالوسائل الموجودة في حينها فكانت الصحف في ذلك هي العُسُب[1]، واللّخاف[2]، والرّقاع[3]، والأكتاف[4]، والأضلاع[5]، والأديم[6]، وبعد تمام الكتابة كانت الصحيفة، أو الصحائف تحفظ كوثيقة رسمية موثقة في أحد بيوت النبي ﷺ ولدى إحدى زوجاته رضوان الله عليهن.

إضافة إلى ما تقدم، ومصداقًا للضمان الإلهي والتوثيق الرباني - بالجمع والقراءة والبيان - فقد كانت تتم عملية مراجعة وتوثيق على رأس كل عام في شهر الإنزال - شهر رمضان - حيث كان يلتقي جبريل عليه السلام مع النبي ﷺ فيعارضه بالقرآن - بكل ما سبق نزوله من القرآن - حتى إذا كان العام الأخير من حياته المباركة ﷺ وشارف القرآن تمامه. عارضه به مرتين تأكيدا وتوثيقا وإيذانا بقرب تمام الرسالة وختام الوحي كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ - ومن هذا نرى أنه لم يلحق رسول الله ﷺ بالرفيق الأعلى حتى كان القرآن الكريم وفور إنزاله أولا بأول - مجموعًا في الصدور مسجلا في السطور، مضموما ومحفوظا وموثقا من الله رب العالمين

خلاصة القول أن القرآن كان مكتوبًا كله على عهد الرسول ﷺ، وكانت كتابته ملحوظًا فيها أنها تشمل الأحرف السبعة التي نزل عليها، غير أن بعض الصحابة كان قد كتب منسوخ التلاوة، وبعض ما هو ثابت بخبر الواحد، وربما كتب غير مرتَّب ولم يكن القرآن على ذلك العهد مجموعًا في صحف ولا مصاحف عامة.

لماذا لم يجمع القرآن في عهد النبي ﷺ في صحف ولا مصاحف؟

وإنما لم يجمع القرآن في صحف ولا مصاحف لاعتبارات كثيرة:

أولها: أنه لم يوجد من دواعي كتابته في صحف أو مصاحف مثل ما وجد على عهد أبي بكر حتى كتبه في صحف. ولا مثل ما وجد على عهد عثمان حتى نسخه في مصاحف.

فالمسلمون وقتئذ بخير، والقراء كثيرون، والإسلام لم يتسع عمرانه بعد، والفتنة مأمونة والتعويل لا يزال على الحفظ أكثر من الكتابة، وأدوات الكتابة غير ميسورة، وعناية الرسول باستظهار القرآن تفوق الوصف وتُوفي على الغاية، وحتى في طريقة آدائه على حروفه السبعة التي نزل بها.

ثانيها: أن النبي ﷺ كان بصدد أن ينزل عليه الوحي بنسخ ما شاء الله من آية أو آيات.

ثالثها: أن القرآن لم ينزل مرة واحدة، بل نزل منجمًا في مدى عشرين سنة أو أكثر.

رابعها: أن ترتيب آياته وسوره ليس على ترتيب نزوله، فقد علمت أن نزوله كان على حسب الأسباب، أما ترتيبه فكان لغير ذلك من الاعتبارات وأنت خبير بأن القرآن لو جمع في صحف أو مصاحف والحال على ما ذكر لكان عرضة لتغيير الصحف أو المصاحف كلما وقع نسخ، أو حدث سبب مع أن الظروف لا تساعد، وأدوات الكتابة ليست ميسورة، والتعويل كان على الحفظ قبل كل شيء.

ولكن لما استقر الأمر بختام التنزيل ووفاة الرسول ﷺ وأُمن النسخ، وتقرر الترتيب، ووجد من الدواعي ما يقتضي نسخه في صحف أو مصاحف، ووفق الله الخلفاء الراشدين فقاموا بهذا الواجب حفظًا للقرآن، وحياطة لأصل التشريع الأول، مصداقا لقوله سبحانه: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾.

هذا بالنسبة للجمع الأول على عهد النبي ﷺ وإن شاء الله نتحدث بعد ذلك عن جمع أبي بكر وعثمان رضي الله عنهما.

الهوامش:

(١) العسب: بضم العين والسين جمع عسيب - وهو جريد النخل كانوا يكشطون الخوض ويكتبون في الطرف العريض.

(٢) اللخاف: جمع لخفة - وهي رقائق الحجارة.

(٣) الرقاع: جمع رقعة وقد تكون من جلد أو ورق.

(٤) الأكتاف: جمع كتف، وهو العظم الذي للبعير أو الشاة كانوا إذا جف كتبوا عليه.

(٥) الأضلاع: جمع ضلع من العظام.

(٦) الأديم: الجلد.

الرجم بين إقرار المؤمنين... ونفي القرآنيين!!

بقلم المستشار: أحمد السيد علي إبراهيم

انتشرت في الآونة الأخيرة كتابات عدة تقدح في ثوابت الشريعة المطهرة، وآخرها ما كتب تحت عنوان: «عقوبة الرجم ليست من الإسلام في شيء؟!» ولنا مع هؤلاء وقفات عدة.

الوقفة الأولى:

إن هذه الفرية ليست بجديدة ولكنها قديمة، فقد أنكر البعض حجية السنة واقتصروا على القرآن في استنباط الأحكام، وقد أخبرنا النبي ﷺ عنهم وعن مقالهم ؛ فعن المقدام بن معدي كرب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يوشك أن يقعد الرجل على أريكته فيُحدث بحديثي فيقول: بيني وبينكم كتاب الله فما وجدنا حلالاً استحللناه وما وجدنا فيه حرامًا حرمناه، وإن ما حرم رسول الله كما حرم الله».[رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه وصححه العلاَّمة أحمد شاكر، طيب الله ثراه وجعل الجنة مثواه].

الوقفة الثانية:

أجمع المسلمون على أن ما صدر عن رسول الله ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة، وكان مقصودًا به التشريع والاقتداء ونُقِلَ إلينا بسند صحيح يفيد القطع، أو الظن الراجح بصدقه، أصل من أصول التشريع ودليل من أدلة الأحكام الشرعية ومصدر تشريعي يستنبط منه المجتهد الأحكام الشرعية لأفعال المكلفين، سواء أكانت دالة على الفرض أم على النفل أو الإباحة أو غير ذلك، ولقطع شغب الملاحدة ودابر الزنادقة الذين يريدون الكيد للإسلام والعبث بعقول الضعفاء من المسلمين وراء ستار البحث عن الحق وحرية الفكر- التي خرجت عن حدها في هذا العصر- ذكر جماعة من الفقهاء الأدلة القاطعة والبراهين الساطعة التي تثبت حجية السنة المطهرة فيرجع إليها في الكتب المتخصصة.

الوقفة الثالثة:

ستكون للرد على الشبهات التي تحوم حول عقوبة الرجم.

الشبهة الأولى:

أن الرجم كعقوبة للزاني لا وجود له في القرآن الكريم، ويرد عليها بالآتي:

١- قال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾[الحشر: ٧]، والرجم مما أتانا به الرسول ﷺ، فإذا ما طبقناه فقد عملنا بالقرآن.

٢- ثبت الرجم بكتاب الله، فقد أخرج البخاري ومسلم بسند متفق عليه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه خطب فقال: إن الله بعث محمدًا بالحق، وأنزل عليه الكتاب، فكان فيما أنزل الله عليه آية الرجم، وهي: «الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالاً من الله والله عزيز حكيم» قرأناها ووعيناها وعقلناها، فرجم رسول الله ﷺ ورجمنا بعده، فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل ما نجد الرجم في كتاب الله- وقد وقع ما يخشى منه عمر- فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله، وإن الرجم حق في كتاب الله على من زنى إذا أحصن من الرجال والنساء إذا قامت البينة أو كان الحَبل أو الاعتراف.

الشبهة الثانية:

منهجية تنقيح الأحاديث بعرضها على كتاب الله تطبيقًا لحديث: «ما جاءكم عني فاعرضوه أولاً على كتاب الله».

والرد عليها من وجوه:

أولاً: مَنْ مِنْ علماء الحديث عمل بهذه المنهجية؟! ثم من حكى الإجماع عليها؟! ثم أليس من التناقض أن يتمسك بالإجماع في هذه المسألة وهو ما لم يوجد ويترك الإجماع على وجوب الرجم، وقد حُكِيَ عن السلف والخلف؟!

ثانيًا: تمسك بعضهم بحديث: «ما جاءكم عني فاعرضوه أولاً على كتاب الله» وهو حديث باطل لا أصل له، فقد حكى زكريا الساجي عن يحيى بن معين أنه قال: «هذا حديث وضعته الزنادقة». وقال الخطابي: «وضعته الزنادقة». وقال الصغاني: «هو موضوع».

ثانيًا: لو استبعدنا ما ليس له أصل في القرآن

الكريم لاستبعدنا أحكامًا عدة أتت بها السنة ولم يأت بها القرآن، ففرض الجدة، وحرمة لبس الذهب والحرير للرجال واستحباب السواك وكراهة دخول المسجد لمن أكل الثوم أو البصل وإباحة أكل الضب كلها أتت في السنة ولم تأت بالقرآن، ومن ثم فهذه الدعوة ما أريد بها إلا هدم بنيان الإسلام وتقويض دعائمه.

بل إن صفة الصلاة وعدد ركعاتها وأركانها وسننها، والنوافل القبلية والبعدية والأذان والإقامة، وأيضًا الزكاة ومقاديرها ونصابها وزكاة الإبل وزكاة البقر وزكاة الغنم والزروع وغيرها والصيام الذي يعد من النوافل وصفة الحج وواجباته وسننه ومحظورات الإحرام وغير ذلك كله لم نعلمه إلا من سنة رسول الله ﷺ، ولو عرضناه على حكم القرآن ما وجدناه، اللهم إلا أن نطيع النبي ﷺ ونقبل كل ما جاءت به السنة، كما أمر القرآن: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾.

الشبهة الثالثة:

شبهة تسرب التحريف إلى الصحيحين ووجوب إعادة تنقيحهما، ويرد عليها بالآتي:

أولاً: أنها مبنية على حديث باطل وما بني على باطل فهو باطل مثله.

ثانيًا: هذه دعوة خبيثة للطعن في أصح الكتب بعد كتاب الله عز وجل صحيحي البخاري ومسلم، فقد أجمعت الأمة على صحة ما جاء بهما من أخبار، فقد ذكر أبو إسحاق الإسفراييني في كتابه أصول الفقه «أهل الصنعة مجمعون على أن الأخبار التي اشتمل عليها الصحيحان مقطوع بصحة أصولها ومتونها ولا يحصل الخلاف فيها بحال». اهـ.

وقال إمام الحرمين الجويني: «لو حلف إنسان بطلاق امرأته: أن ما في الصحيحين مما حكم بصحته من قول النبي ﷺ لما ألزمته الطلاق لإجماع المسلمين على صحته». اهـ.

وقال ابن الصلاح: «أهل الحديث كثيرًا ما يطلقون على ما أخرجه البخاري ومسلم جميعًا».[صحيح متفق عليه].

ويعنون به اتفاق البخاري ومسلم لا اتفاق الأمة عليه، لكن اتفاق الأمة عليه لازم من ذلك وحاصل معه لاتفاقهم على تلقي ما اتفقا عليه بالقبول. اهـ.

الشبهة الرابعة:

قال بعضهم: لو أنَّ قاضيًا حكم بعقوبة على متزوج زان وأرد أن يحكم عليه بعقوبة الرجم استنادًا إلى ما في كتب السنة، فدفع بأن الآية: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ لم تفرق بين متزوج وأعزب في العقوبة، فأي المصدرين يرجح؟ يقصد القرآن أم السنة. ويرد عليه بالآتي:

أولاً: بأن القرآن والسنة فرقًا بين المتزوج والعزب في العقوبة كما ذكرنا.

ثانيًا: نقول لهؤلاء: لو صلى رجل الظهر ثلاث ركعات والعصر أربعًا ثم قال: القرآن الكريم لم يفرق بينهما فأي المصدرين ترجح؟! فكما أن السنة فرقت بينهما- أي الصلاتين- فقد فرقت في العقوبة بين المتزوج والعزب، فقد أخرج مسلم عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ: «خذوا عني، خذوا عني، فقد جعل الله لهن سبيلاً ؛ البكر بالبكر جلدة مائة ونفي سنة، والثيب بالثيب جلد مائة والرجم».

الشبهة الخامسة:

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ﴾[النساء: ٢٥]، فالرجم بطبيعة الحال لا يقبل التنصيف، ويرد عليه بالآتي: أن الإحصان يأتي بمعنى الزواج، ومنه قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالاَتُكُمْ وَبَنَاتُ الأَخِ وَبَنَاتُ الأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللاَّتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللاَّتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللاَّتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلاَئِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلاَبِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الأُخْتَيْنِ إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا (٢٣) وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ﴾ أي: المتزوجات، فيحرم الزواج بهن إلا بعد انفصام عرى الزواج بالطلاق أو الوفاة، ويأتي بمعنى العفة، ومنه قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾[المائدة: ٥] أي: أحل لكم نكاح الحرائر العفائف من النساء المؤمنات ومن الذين أوتوا الكتاب، ومن ثم يكون معنى قوله تعالى: ﴿فَإِذَا أُحْصِنَّ﴾ أي الإماء-

بالزواج أو الإسلام على رأيين- فعليهن ما على الحرائر العفيفات من المؤمنات من العذاب، وليس المقصود نصف ما على المتزوجات.

قال الشافعي رحمه الله: «الألف واللام في المحصنات للعهد وهن المحصنات المذكورات في أول الآية ﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ والمراد بهن الحرائر فقط من غير تعرض لتزويج وغيره، وقوله: ﴿نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ﴾ يدل على أن المراد من العذاب الذي يمكن تبعيضه وهو الجلد لا الرجم. والله أعلم». اهـ. تفسير ابن كثير (٤٨٩/١).

فلقلة علم هؤلاء باللغة ومعانيها التبس عليهم الأمر: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾[النساء: ٨٣].

الشبهة السابعة:

أن كل روايات الرجم من أحاديث الآحاد وهي ظنية الثبوت أي أن ورود الخطأ بها جائز. ويرد عليها بأن الرجم قد ثبت عن رسول الله ﷺ وفعله في أخبار تشبه المتواتر، كما أن الرجم أجمع عليه أصحاب رسول الله ﷺ، وقد أنزله الله في كتابه وإنما نسخ رسمه دون حكمه- أي نسخ قراءة وبقي حكمًا- وقال ابن قدامة في «المغني»: في وجوب الرجم على الزاني المحصن رجلاً كان أو امرأة، وهذا قول عامة أهل العلم من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من علماء الأمصار في جميع الأعصار ولا نعلم فيه مخالفًا إلا الخوارج. اهـ.

الشبهة الثامنة:

عدم استقلال النبي ﷺ بالتشريع. ويرد عليها بأن جمهور الأصوليين قد اتفقوا على جواز استقلال السنة بالتشريع، وما ذاك إلا لأن السنة في معناها من عند الله: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ وفي مبناها- أي لفظها- من عند رسول الله ﷺ، فالقرآن والسنة كلاهما من عند الله، غير أن القرآن من عند الله في لفظه ومعناه، والسنة معناها من عنده سبحانه ولفظها من عند نبيه ﷺ: ﴿قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾، كما أن الأحكام التكليفية والوضعية وردت في سنته ﷺ كما أسلفنا ومنها ما لم يرد في كتاب الله، وليس أدل على الجواز من وقوعها فعلاً.

الشبهة التاسعة:

أن الرجم غير مجمع عليه، فالشيعة لا تعترف به. ويرد عليها بأن الشيعة لا تعترف بإجماع علماء المسلمين وإنما الإجماع عندهم هو إجماع أئمتهم فقط، ومن ثم فلا يعتد بمخالفتهم، فوجوده كعدمه.

الشبهة العاشرة:

أن عقوبة الرجم تتنافى مع قواعد العدالة، فلماذا لا يتم معاملة المطلق والأرمل معاملة العزب، ولماذا لا يطبق الرجم على ذي العقد الباطل في حالة زناهما؟ ويرد عليها بالآتي: قال ابن القيم في «إعلام الموقعين»: «ثم إن للزاني حالتين: إحداهما: أن يكون محصنًا قد تزوج، فعلم ما يقع به العفاف عن الفروج المحرمة واستغنى به عنها، وأحرز نفسه عن التعرض لحد الزنى فزال عذره من جميع الوجوه في تخطي ذلك إلى مواقعة الحرام. والثانية: أن يكون بكرًا، لم يعلم ما علمه المحصن ولا عمل ما عمله فحصل له من العذر بعض ما أوجب له التخفيف فحقن دمه، وزجر بإيلام جميع بدنه بأعلى أنواع الجلد ردعًا عن المعاودة للاستمتاع بالحرام وبعثًا له على القنع بما رزقه الله من الحلال، وهذا في غاية الحكمة والمصلحة جامع للتخفيف في موضعه والتغليظ في موضعه». اهـ.

وأما صاحب العقد الباطل فمسألة تطبيق الحد في حقه مسألة خلافية، والذين قالوا بعدم التطبيق استدلوا بحديث: «ادرأوا الحدود بالشبهات»، والذي استدل به كاتب المقال عند حديثه عن الآية ٢٥ من سورة النساء فكيف يتركه هنا ويأخذه هناك!!

أخيرًا: بعد أن بينا هذه الشبهات وعدم صحتها ننصح كل مسلم بألا يلتفت إليها امتثالاً لقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾[الأنعام: ١٢١].

والعجب العجاب أن منكري الرجم لو رأى أحدهم ابنته البكر تزني لقام بقتلها هي والزاني بالرغم من أن البكر حدها الجلد، مخالفًا بذلك ما أمر الله به ومشددًا عقوبتها مخالفًا قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾، ثم يأتي فينكر الرجم على الثيب بالرغم من أنه أول من سيفعله لو وجد زوجته تزني.

نسأل الله العفو والعافية في الدنيا والآخرة.

فضل صوم الأشهر الحرم

كتبه: مصطفى سيد عارف

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وبعد:

الصوم من أجل القربات التي نتقرب بها إلى الله عز وجل ؛ لحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من عبد يصوم يومًا في سبيل الله إلا باعد الله بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفًا». [متفق عليه].

لذلك رغب رسول الله ﷺ في صيام الأشهر الحُرم ؛ والأشهر الحرم هي: المحرم، رجب، ذو القعدة، ذو الحجة.

أولاً: المحرم:

قال الإمام ابن كثير رحمه الله: ذكر الشيخ علم الدين السخاوي في جزءٍ جمعه، سماه: «المشهور في أسماء الأيام والشهور» أن المحرم سمي بذلك لكونه شهرًا محرمًا، وعندي- أي ابن كثير- أنه سُمي بذلك تأكيدًا لتحريمه لأن العرب كانت تتقلب به فتحله عامًا وتحرمه عامًا، قال :وجمع على محرمات ومحارم ومحاريم. اهـ.

وأما عن الصيام فيه، فقد رغب رسول الله ﷺ في صيام أكثر هذا الشهر، وبخاصة اليوم العاشر منه ؛ لحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم، وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل».

ولحديث أبي قتادة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم، وأفضل الصيام بعد الفريضة صلاة الليل».

ولحديث أبي قتادة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ سُئل عن صيام يوم عاشوراء فقال: «يكفر السنة الماضية».

ثانيًا: رجب:

قال ابن كثير: رجب من الترجيب وهو التعظيم، ويجمع على أرجاب ورجاب ورجبات. اهـ.

وأما عن الصيام في هذا الشهر فقد قال العلماء فيه الآتي:

الرأي الأول: قالوا فيه بكراهية الصيام في هذا الشهر.

قال الإمام ابن قيم الجوزية: ولم يصم رسول اللّه ﷺ الثلاثة الأشهر سرًا كما يفعله بعض الناس، ولا صام رجب قط، ولا استحب صيامه، بل روي عنه النهي عن صيامه. [رواه ابن ماجه].

وقال الإمام الشوكاني: وحكى ابن السبكي عن محمد بن منصور السمعاني أنه قال: لم يرد في استحباب صوم رجب على الخصوص سنة ثابتة، والأحاديث التي تروى فيه واهية

لا يفرح بها عالم، وأخرج ابن أبي شيبة في مصنفه أن عمر كان يضرب أكف الناس في رجب حتى يضعوها في الجفان، ويقول: كلوا فإنما هو شهر كانت تعظمه الجاهلية، وأخرج عن ابن عمر ما يدل على أنه كان يكره صوم رجب. اهـ.

قال الشيخ سيد سابق: قال ابن حجر: لم يرد في فضله، ولا في صيامه ولا في صيام شيء منه معين، ولا في قيام ليلة مخصوصة منه، حديث صحيح يصلح للحجة. اهـ.

الرأي الثاني: قالوا فيه بعدم كراهية الصيام في هذا الشهر.

قال الإمام النووي: ولم يثبت في صوم رجب نهي ولا ندب بعينه، ولكن أصل الصوم مندوب إليه، وفي سنن أبي داود أنه ﷺ ندب الصوم من الأشهر الحرم، ورجب أحدها. اهـ.

وقد ذهب الإمام الشوكاني إلى استحباب صومه، حيث قال: ولا يخفاك أن الخصوصات إذا لم تنتهض للدلالة على استحباب صومه انتهضت العمومات، ولم يرد ما يدل على الكراهية حتى يكون مخصصًا لها. اهـ.

قلت: وكان من هديه ﷺ يصوم يومي الاثنين والخميس وثلاثة أيام من كل شهر، وقد اشتمل شهر رجب على هذه الأيام، كما أنه من الأشهر الحرم، كما دلَّ على ذلك حديث الباهلية، ويزاد على ذلك أن الصوم مندوب إليه في أي يوم من أيام السنة، إلاَّ الأيام التي نهى عنها رسول الله ﷺ. ولم يرد في صوم رجب نهي ولا استحباب، فمن أراد أن يصوم في هذا الشهر فليفعل مع عدم تخصيص يوم بعينه كاليوم الأول منه.

وأما ما قاله ابن القيم في كتابه «زاد المعاد» بأن رسول الله ﷺ نهى عن صيامه كما في سنن ابن ماجه، فهذا كلام فيه نظر لضعف الحديث.

قال الإمام الشوكاني: وأما حديث ابن عباس عند ابن ماجه بلفظ: «إن النبي ﷺ نهى عن صيام رجب»، ففيه ضعيفان: زيد بن عبد الحميد، وداود بن عطاء. اهـ.

ثالثًا: ذو القعدة:

قال ابن كثير: ذو القعدة بفتح القاف وكسرها لقعودهم فيه عن القتال والترحال، ويجمع على ذوات القعدة. اهـ.

وأما عن الصيام في هذا الشهر فهو كالصيام في شهر رجب وغيره.

رابعًا: ذو الحجة:

قال ابن كثير: ذو الحجة بكسر الحاء وفتحها، سُمِّي بذلك لإقامتهم الحج فيه، ويجمع على ذوات الحجة. اهـ.

وأما عن الصيام في هذا الشهر، فقد اشتمل هذا الشهر على أفضل الأيام، وهي العشر الأوُل من ذي الحجة ؛ لحديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله، من هذه الأيام». يعني أيام العشر.

قالوا: يا رسول الله، ولا الجهاد في سبيل الله، قال: ولا الجهاد في سبيل الله، إلاَّ رجل خرج بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشيء.

فالعمل الصالح في العشر الأول من ذي الحجة أفضل من الأعمال في غيرها ؛ لأنها من فُضليات الأيام وكرائمها، وهي أيام الحج والمناسك، وقد أقسم الله تعالى بها، فقال: ﴿وَالْفَجْرِ (١) وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾.

ولقد رغب رسول الله ﷺ في صيام هذه الأيام، وبخاصة عرفة ؛ لحديث أبي قتادة قال: سُئل رسول الله ﷺ عن صوم عرفة قال: «يكفر السنة الماضية والباقية».

والله من وراء القصد.

من دلائل النبوة في الأناجيل

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد..

مما يلفت الأنظار أن الشواهد العشرة على كثرتها ووضوحها قد وردت في الأناجيل الأربعة التي هي حكاية عن تاريخ عيسى عليه السلام وما كان من قصته من وجهة نظر كتابها، فما بالنا بدلالة الإنجيل الأصلي المفقود على نبوة محمد ﷺ وصدق دعوته.

ولذلك نحن مأمورون فيما يحدثنا به أهل الكتاب أن لا نصدق إلا بما نعلم أنه الحق، كما لا نكذب إلا بما نعلم أنه باطل، فمن حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان أهل الكتاب يقرءون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا: و﴿قولوا آمنا بالله وما أونزل إلينا﴾ رواه البخاري في كتاب تفسير القرآن برقم (٤٤٨٥). الآية.

الحلقة الأخيرة

بقلم / د. محمود عبد الرازق

وفي حديث آخر قال رسول الله ﷺ: «ما حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم، وقولوا: آمنا بالله ورسله، فإن كان باطلا لم تصدقوه، وإن كان حقا لم تكذبوه» أخرجه أبو داود في كتاب العلم برقم (٣٦٤٤).

شبهة وجوابها:

نظرا لهذا التشابه الواضح بين ما ذكر من نصوص الإنجيل في المقالات السابقة، بغض الطرف عما فيها من تغيير وتبديل، وبين نصوص التنزيل قرآنا كان أو سنة، فإن البعض ربما يزعم أن ذلك دليل على أن محمدا ﷺ أخذ القرآن من التوراة والإنجيل وصاغه بلغته العربية على هذا النحو، وهذه الشبهة ليست جديدة، فكثير من النصارى زعم أن محمدا لقي بحيرى الراهب فأخذ عنه وتعلم منه، وما تلك المعارف التي في القرآن إلا ثمرة هذا الأخذ وذاك العلم، وجواب ذلك من وجوه:

أولا: أنها دعوى مجردة من الدليل خالية من التحديد والتعيين، ومثل هذه الدعاوى لا تقبل ما دامت غير مدللة، وإلا فليخبرونا ما الذي سمعه محمد ﷺ من بحيرى الراهب أو غيره، ومتى كان ذلك وأين كان؟

ثانيا: أن التاريخ لا يعرف أكثر من أنه ﷺ سافر إلى الشام في تجارة مرتين، مرة في طفولته ومرة في شبابه، ولم يسافر غير هاتين المرتين، ولم يجاوز سوق البصرة فيهما، ولم يسمع من بحيرى ولا من غيره شيئا من الدين، ولم يك أمره سرا هناك، بل كان معه شاهد في المرة الأولى وهو عمه أبو طالب، وشاهد في الثانية وهو ميسرة غلام خديجة رضي الله عنها التي خرج الرسول بتجارتها أيامئذ، وكل ما هنالك أن بحيرى الراهب رأى سحابة تظلله من الشمس، فذكر لعمه أن سيكون لهذا الغلام شأن، ثم حذره عليه من اليهود، وقد رجع به عمه خوفا عليه ولم تتم رحلته.

ثالثا: أن تلك الروايات التاريخية نفسها تحيل أن يقف هذا الراهب أو غيره موقف المعلم المرشد لمحمد ﷺ، لأنه بشره أو بشر عمه بنبوته، وليس بمعقول أن يؤمن رجل بهذه البشارة التي يزفها ثم ينصب نفسه أستاذا لصاحبها الذي سيأخذ عن الله ويتلقى عن جبريل، ويكون هو أستاذ الأساتذة وهادي الهداة والمرشدين وإلا كان هذا الراهب متناقضا مع نفسه.

رابعا: أن بحيرى الراهب لو كان مصدر هذا الفيض الإسلامي المعجز من قرآن أو سنة، لكان الأحرى بالنبوة والرسالة والانتداب لهذا الأمر

العظيم.

خامسا: أنه يستحيل في مجرى العادة أن يتم إنسان علي وجه الأرض تعليمه وثقافته، ثم ينضج النضج الخارق للمعهود فيما تعلم وتثقف، بحيث يصبح أستاذ العالم كله لمجرد أنه لقي مصادفة أو اتفاقا راهبا من الرهبان مرتين، على حين أن التلميذ كان في كلتا المرتين مشتغلا عن التعليم بالتجارة، وكان أميا لا يعرف القراءة والكتابة، وكان صغيرا تابعا لعمه في المرة الأولى، وكان حاملا لأمانة ثقيلة في عنقه لا بد أن يؤديها كاملة في المرة الثانية وهي أمانة العمل والإخلاص في مال خديجة وتجارتها.

سادسا: أن طبيعة النصرانية التي ينتمي إليها الراهب بحيرى تأبى أن تكون مصدرا للقرآن وهدايته، خصوصا بعد أن أصاب ذلك الدين ما أصابه من تغيير وتحريف، وحسبك أدلة على ذلك ما تقدم من المقارنات السابقة بين القرآن والإنجيل، كما أن القرآن قد صور علوم أهل الكتاب في زمانه بأنها الجهالات ثم تصدى لتصحيحها، وصور عقائدهم بأنها الضلالات ثم عمل على تقويمها، وصور أعمالها بانها المخازي والمنكرات، ثم حض على تركها، ففاقد الشيء لا يمكن أن يعطيه والخطأ لا يمكن أن يكون مصدرا للصواب، وكذلك الظلام لا يمكن أن يكون مشرقا للنور.

سابعا: أن أصحاب هذه الشبهة من الملاحدة يقولون: إن القرآن هو الأثر التاريخي الوحيد الذي يمثل روح عصره أصدق تمثيل، فإذا كانوا صادقين في هذه الكلمة، فإننا نحاكمهم في هذه الشبهة إلى القرآن نفسه، وندعوهم أن يقرؤوه ولو مرة واحدة بتعقل وإنصاف، ليعرفوا منه كيف كانت الأديان وعلماؤها وكتابها في عصره ﷺ، وليعلموا أنها ما كانت تصلح لأستاذية رشيدة، بل كانت هي في أشد الحاجة إلى أستاذية رشيدة.

ثامنا: أن هذه التهمة لو كان لها نصيب من الصحة لفرح بها قومه من الكفار، وقاموا لها وقعدوا لأنهم كانوا أعرف الناس برسول الله ﷺ، وكانوا أحرص الناس على تبهيته وتكذيبه وإحباط دعوته بأية وسيلة، لكنهم كانوا أكرم على أنفسهم من هؤلاء الملاحدة فحين أرادوا طعنه بانه تعلم القرآن من غيره، لم يفكروا بأن يقولوا إنه تعلم من بحيرى الراهب كما قال هؤلاء، لأن العقل لا يصدق ذلك والهزل لا يسعه، بل لجؤوا إلى رجل حداد رومي منهمك بين مطرقته وسندانه، طول يومه في خبث الحديد وناره ودخانه، غير أنه اجتمع فيه أمران حسبوهما بجهلهم علة لترويج تهمتهم.

أحدهما: أنه مقيم بمكة إقامة تيسر لمحمد ﷺ الاتصال الدائم الوثيق به والتلقي عنه.

والآخر: أنه غريب عنهم وليس منهم، ليخيلوا إلى قومهم أن عند هذا الرجل علم ما لم يعلموا هم ولا آباؤهم، فيكون ذلك أدنى إلى التصديق بأستاذيته لمحمد ﷺ.

وغاب عنهم أن الحق لا يزال نوره ساطعا يدل عليه، لأن هذا الحداد الرومي أعجمي لا يحسن العربية، فليس بمعقول أن يكون مصدرا لهذا القرآن الذي هو أبلغ نصوص العربية، بل هو معجزة المعجزات ومفخرة العرب واللغة العربية، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ [النحل:١٠٣] انظر مناهل العرفان للزرقاني ص٣٠٨ .

فالحقيقة التي لا شك فيها أن ما نزل على رسول الله ﷺ هو وحي معجز ينازع فيه الجاحدون، وقد كشف الله تعالى شبههم وأدحض حججهم، وبهتهم وقطعهم وفضحهم على رؤوس الأشهاد وبين عجزهم وكشف عوارهم في جميع ما انتحلوا.

وقد تحداهم الله بأقوى تحد فقال: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء:٨٨].

فلما رأوا وجوه إيجازه وإعجازه ومبانيه الكاملة ومعانيه الشاملة وإخباره عن الأمم الماضية والغيوب المستقبلة، والأحكام الواقعة ونبأ الوعد والوعيد والترغيب والترهيب والتهديد، وغير ذلك على أكمل وجه وأوضح بيان، وأعلى قصص وأعظم برهان، علموا أنه ليس كلام المخلوقين ولا يشبه كلام المخلوقين، وعلموا أنه الحق، وإنما رموه بالإفك والبهتان بقولهم: كاهن شاعر مجنون وغير ذلك إنما هو مكابرة وعناد مع الاعتراف بذلك فيما بينهم.

(انظر معارج القبول ١/٢٨١) .

من نور كتاب الله

قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[الأنعام: ١٦٢].

من هدي رسول الله ﷺ

عن أنس رضي الله عنه قال: ضحى النبي ﷺ بكبشين أملحين ذبحهما بيده وسمى وكبر ووضع رجله على صفاحهما.[مسلم (١٩٦٦)].

من أراد أن يضحي

عن أم سلمة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «إذا دخلت العشر وأراد أحدكم أن يضحي فلا يمس من شعره وبشره شيئًا».[مسلم ١٩٧٧].

فضل صوم يوم عرفة

عن أبي قتادة رضي الله عنه قال: سُئل رسول الله ﷺ عن صوم يوم عرفة؟ قال: «يُكفر السنة الماضية والباقية».[مسلم].

الصحابة... والعيد

عن جبير بن نفير قال: كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا التقوا يوم العيد، يقول بعضهم لبعض: «تقبل الله منا ومنك».[الفتح ٢/٤٤٦].

عن سلمان رضي الله عنه قال: كبروا الله: «الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر كبيرًا». وقال الحافظ في الفتح: هذا أصح ما ورد في التكبير.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما: كان يكبر بمنى خلف الصلوات وعلى فراشه وفي فسطاطه وفي ممشاه الأيام جميعًا.[تغليق التعليق ٢/٣٧٩].

سُئل الأوزاعي عن التكبير يوم عرفة، فقال: «يكبر من غداة عرفة إلى آخر أيام التشريق، كما كبر علي وعبد الله رضي الله عنهما».[الحاكم (٣٠٠)].

الله أكبر

كان القرظي يقول في هذه الآية: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا... ﴾ قال: إن اليهود والنصارى قالوا: اتخذ الله ولدًا، وقالت العرب: لبيك لا شريك لك إلا شريكًا هو لك، وقال الصابئون والمجوس: لولا أولياء الله لذل الله، فأنزل الله: ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴾.[تفسير الطبري (١٢٦/٨)].

حكم ومواعظ

قال يحيى بن معاذ: أعداء الإنسان ثلاثة: دنياه، وشيطانه ونفسه، فاحترس من الدنيا بالزهد فيها، ومن الشيطان بمخالفته، ومن النفس بترك الشهوات.[نضرة النعيم (٣٣١٥)].

وكان الحسن يقول: إذا رأيت الرجل ينافس في الدنيا فنافسه في الآخرة.[الزهد (٢٤٠)].

وقال عبد الله بن مسعود: من تواضع لله تخشعًا رفعه الله يوم القيامة، ومن تطاول تعظمًا وضعه الله يوم القيامة.[الزهد لوكيع (٤٦٧)].

احذر أخي الحاج

اعتقاد بعض الناس أن حجه يكون ناقصًا إذا لم يزر قبر النبي ﷺ، ويقف عنده ويدعو

ويستشفع به ﷺ.

والصحيح فعل الصحابة، فهذا ابن عمر كان إذا دخل المسجد النبوي قال: السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا أبا بكر، السلام عليك يا أبتِ، ثم ينصرف، وهكذا كان الصحابة يسلمون عليه ﷺ، فلا يقفون للدعاء عند قبره، ولا الاستشفاع به ولا دعائه.

تأويلات فاسدة:

قول بعض المتكلمين: إن الله لا داخل العالم ولا خارجه ولا متصل بالعالم ولا منفصل عنه، ولا جهة له ولا فوق ولا تحت ولا يمين ولا شمال، وهذا قول باطل ؛ لأن هذه أوصاف المعدوم، بل هي أوصاف الممتنع، فإنه لا شك في: أن الشيء إذا كان لا فوق العالم ولا تحته ولا يمينه ولا شماله ولا خلفه ولا أمامه ولا متصلاً بالعالم ولا منفصلاً عنه، ولا داخلاً في العالم ولا خارجًا عنه لابد أن يكون معدومًا محضًا، بل لا بد أن يكون ممتنعًا بحتًا.

وصايا لطلاب العلم

الأصل في الطلب أن يكون بطريق التلقين والتلقي عن الأسانيد والأخذ من أفواه الرجال لا من الصحف وبطون الكتب، وقد قيل: من دخل في العلم وحده، خرج وحده، أي من دخل في طلب العلم بلا شيخ، خرج منه بلا علم ؛ إذ العلم صنعة، وكل صنعة تحتاج إلى صانع، فلا بد إذًا لتعلمها من معلمها الحاذق.[حلية طالب العلم ص٢٢].

من خوارم المروءة
التمثيل

المروءة من مقاصد الشرع، وخوارمها من مسقطات الشهادة قضاءً، والشرع يأمر بمعالي الأخلاق، وينهى عن سفاسفها، فكم رأى الراؤون «الممثل» يفعل بنفسه الأفاعيل في أي عضو من أعضائه، وفي حركاته، وصوته، واختلاج أعضائه، بل يمثل دور مجنون أو معتوه أو أبله، وهكذا، وقد نصَّ الفقهاء في باب الشهادة على سقوط شهادة المضحك أو «الساخر» و«المستهزئ» وكثير الدعابة، وهذا منتشر في كلام الفقهاء.[كتاب «التمثيل» للشيخ بكر أبو زيد].

من نصائح علماء الجماعة

آن الآوان للأزهر الشريف- وهو الملاذ الكبير لطلبة العلم من جميع الأقطار الإسلامية- أن ينظروا إلى علم الكلام النظرة الصادقة، وأن يزنه بميزان العدل والحق، وأن يؤكد لطلابه أنه لا يعبر عن عقيدة القرآن، وأنه يعبر عن عقيدة أصحابه، ويؤكد لهم أنه لا ينتسب إلى الإسلام بأدنى رحم، وإنما ينتسب إلى الأهواء وثقافات كان همَّ أصحابها الأول هو القضاء على الإسلام، وأنه لا يصلح أبدًا لهداية أمة ولا لهداية فرد واحد.[«الصفات الإلهية» للشيخ عبد الرحمن الوكيل (ص١٧٢)].

إعداد: د. طلعت زهران

هذا الاعتقاد لا يجوز!!

الاعتقاد بأن تعليق التمائم والخرزة، وحدوة الحصان، والكف «خمسة وخميسة»، وقرن الفلفل، والحذاء القديم، وما يسمى بـ«الحظاظة»، وما شابه ذلك يمنع الحسد، كل هذا شرك، قال رسول الله ﷺ: «من علق تميمة فلا أتم الله له، ومن علق ودعة فلا أودع الله له». وقال: «استعيذوا بالله من العين فإن العين حق».[صحيح. (رواه ابن ماجه (٩٣٨)].

وقال ﷺ: «من علق تميمة فقد أشرك».[صحيح. رواه أحمد (٦٣٩٤)].

خرافات لا أساس لها في الشرع!!

الاعتقاد بأن الأحجبة تجلب الرزق، أو تمنع الحسد، أو تحبب الزوج إلى زوجته، أو تمنع بكاء الطفل، كل هذه خرافات لا أساس لها من الشرع.

كل هذا من الكهانة.. ولا يجوز!!

الاعتقاد في السحرة والعرافين كـ (فتح المندل، وقراءة الكف والفنجان، وفتح الكتاب، وحظك اليوم). قال ﷺ: «من أتى عرافًا فسأله عن شيء، لم يقبل له صلاة أربعين ليلة».[رواه مسلم (٥٩٤٠)].

وقال ﷺ: «من أتى عرافًا فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أُنزل على محمد».[صحيح. رواه أحمد (٥٩٣٩)].

فلا يجوز الذهاب إلى السحرة والعرافين وقراءة الكف والفنجان وقراءة حظك اليوم؛ لأن كل هذا من الكهانة.

قال ﷺ: «لا تأتوا الكهان».[صحيح. رواه الطبراني (٧١٨٠)].

لا يجوز التشاؤم، فإن الأمور بيد الله!!

ومن ذلك: التشاؤم من كثرة الضحك وقولهم: «اللهم اجعله خيرًا». فكثرة الضحك لا تجلب شرًا ولا تمنع خيرًا، ولكن قد نهانا الرسول ﷺ عن كثرة الضحك، حيث قال: «لا تكثروا الضحك، فإن كثرة الضحك تميت القلب».[صحيح. رواه ابن ماجه (٧٤٣٥)].

وكان ﷺ: لا يضحك إلا تبسمًا.[رواه أحمد (٤٨٦١)].

كذلك التشاؤم من صوت البومة أو الغراب والحدأة، وطنين الأذن، ورفيف العين، وأكلان اليد، وتنميل القدم. قال ﷺ: «لا عدوى ولا طيرة ولا هامة، ولا صفر، ولا غول».[صحيح. رواه مسلم].

والطيرة تعني التشاؤم، فلا يجوز التشاؤم من أي شيء ؛ لأن الأمور كلها بيد الله.

ومن ذلك: التشاؤم من ذكر كلمة الموت وقولهم: «بعد الشر»، أو: «الشر بره وبعيد». قال ﷺ: «أكثروا من ذكر هادم

واعتقادات خاطئة

اللذات: الموت، فإنه لم يذكره أحدٌ في ضيق من العيش إلا وسعه عليه، ولا ذكره في سعةٍ إلا ضيقها عليه».[حسن. رواه البيهقي (١٢١٠)].

التشاؤم من اللون الأسود أو الأزرق: هذا لا يجوز؛ لأن التشاؤم من أي شيء شرك ؛ لقوله ﷺ: «الطيرة شرك».

قال ابن مسعود: وما منا إلا، ولكن الله يذهبه بالتوكل.

والطيرة تعني التشاؤم، والتشاؤم من ألوان معينة أو أيام معينة أو أرقام معينة أو أشخاص معينين أو أي شيء لا يجوز، قال الله عز وجل: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾[التوبة: ٥١].

الاعتقاد بأن المرأة هي المسئولة عن إنجاب الذكور

للأسف الشديد هناك مِنَ الرجال مَن يحزن إذا لم تلد زوجته ذكورًا، وإذا بشر بأن زوجته ولدت أنثى أصابه الهم والحزن، وحدثت المشكلات، وقد يصل الأمر إلى الطلاق، وفي هذا الأمر خطأ وإثم، من جهتين:

الأولى: أنه اعتراض على قدرة الله القائل سبحانه: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ (٤٩) أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا﴾[الشورى: ٤٩، ٥٠].

الثانية: مشابهة أهل الكفر الذين كانوا كما قال عنهم ربهم جل وعلا: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ (٥٨) يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ﴾[النحل: ٥٨- ٥٩].

مع العلم أن التجارب والأبحاث العلمية الحديثة قد أثبتت أن نوع المولود لا دخل للأم فيه مطلقًا، وهذا ما كانت المرأة القديمة تعتقده بفطرتها السليمة، فهذه امرأة رجل يسمى أبا حمزة هجرها لأنها لم تلد له بنين، فقالت:

ما لأبي حمزة لا يأتينا
يظل في البيت الذي يلينا
غضبان ألا نلد البنينا
تالله ما ذلك في أيدينا
وإنما نأخذ ما أعطينا
ونحن كالأرض لزارعينا
ننبت ما قد زرعوه فينا

والله من وراء القصد .

الحج

هو القصد بقلب مخلص، ونية صادقة، وهمة قوية، ونفس فقيرة إلى ربها وعفوه ورحمته، إلى بيت الله الغني الحميد، الوهاب الكريم، الذي بيده الخير كله وهو على كل شيء قدير.

فهو بذلك قصد خاص، وليس كل من سافر إلى مكة وطاف بالبيت، وحضر المشاعر، وقضى المناسك: حاجًا ولا معتمرًا، حتى يتحقق له هذا القصد وهذه النية والهمة، وتكون له هذه النفس العارفة بحاجاتها، والقاصدة إلى طلبها، والحريصة على نوالها من ربها الغني الحميد.

ولن يتحقق ذلك ويتم كله أو بعضه إلا بالعلم، الذي يوجه القلب مخلصًا مؤمنًا محتسبًا، فتصدق النية بالعلم والجد، وتقوى الهمة، وتستيقظ النفس من غفلاتها فتنتهز الفرصة، مبادرة إلى الساحة الربانية راغبة راهبة، سائلة ضارعة، قد حملت سجل حياتها، وعرفت فيه كل أخطائها، واستعدت لكل خطيئة بندم وتوبة تناسبها، وموقف في ساعة العرض على الرقيب الحسيب يوائمها، مؤمنة بأنه ذو مغفرة للناس على ظلمهم، وأنه سريع الحساب شديد العقاب.

بقلم / الشيخ محمد حامد الفقي، رحمه الله.
مؤسس جماعة أنصار السنة

وشأن الحج والعمرة في هذا كشأن كل العبادات، وشأن العبادات كشأن كل ما يعمله الإنسان، ويتناوله لنفسه أو لغيره، يفسده الجهل به كل الإفساد ويحبطه، فيبوء العامل بأنواع الخسران في المجهود، وإضاعة الوقت، وفقدان كل الأسباب التي اتخذها للعمل، من مادية وغيرها، فلا تكون منه إلا الحسرة المزعجة، والندامة المحزنة أشد الحزن. وعلى عكس ذلك يكون الفوز والنجاح، والربح الذي يملأ النفس سرورا، يدفعها نشيطة قوية إلى الدأب على العمل، والمداومة عليه بصدر منشرح، ونفس مطمئنة - إذا كان قد تهيأ العامل واستعد له بالعلم به، وبكل نواحيه وأسبابه، ومبدئه وطريقه إلى نهايته وعاقبته - وهذا هو معنى قول الرسول ﷺ «إنما الأعمال بالنيات، ولكل امرئ ما نوى» فإن النفس إنما تعزم على العمل جادة، إذا هي علمت مبدأه وغايته، وما بينهما في الطريق، وما يقوم فيه من عقبات، وتتخذ الأسباب لتذليلها. فتسعى بهذا الجد والعزم النشيط القوي - ثمرة هذا العلم - مستمدة العون والتوفيق والسند من الله ربها في حذر وحيطة، وتثبت في كل خطوة حتى تصل إلى النتيجة، التي تكون ولا بد على قدر هذا العلم والعزم والاستقامة في الطريق. فأما إذا جهلت العمل وخصائصه ومزاياه، ومبدأه وغايته والطريق إليه. فإنها تدخل في العمل بغفلة وجهل وضعف ووهن، فكلما خطت فيه خطوة تعثرت، فلا تصل إلى أي غاية، وقد يخدعها الجهل والغفلة، فتتوهم أنها وصلت إلى غاية. والواقع: أنها إنما وصلت إلى غاية الخيبة والخسران، واعرف ذلك بالقياس على أي عمل مادي من زراعة، أو صناعة، أو تجارة - فإن

كل متناول له على جهل وغفلة لن يبوء إلا بالخسران. والدين والعبادات: إنما هي شأن ككل هذه الشئون، وعمل ككل هذه الأعمال. العامل للكل واحد، والقصد في الكل واحد، وهو الغاية المرجوة - وإن كانت في الزراعة والصناعة ونحوها للجسم البهيمي، وحياته الدنيا، وفي الدين والعبادات لهذا الجسم نفسه وحياته الدنيا واتخاذه مطية صالحة قوية للقلب وللروح، وللحياة الآخرة الطيبة الآمنة من كل تعب ونصب وعناء وشقاء ونكد - ومن ثم اقتضت حكمة العليم الحكيم ورحمة أرحم الراحمين: أن تكون نتائج الأعمال والأحوال الدينية «ثوابًا» يثوب إلى العامل، ويرجع إليه في حياته الأولى، عقب عمله مباشرة، حتى يفحصه، كما يفحص ويَجْرُد التاجر غلته، والصانع صنعته. فما وجد فيه من نقص أو فساد، أو ما يكون عكس الغاية المرجوة والثمرة المقصودة: بادر إلى البحث عن العلة والسبب فيما لحقه من النقص أو الفساد، فتلافاه. وبذلك أبطل الله كل عذر لمعتذر، وبالأخص من يزعمون أن الجهل عذر لهم في تفريطهم وإضاعتهم وإفسادهم دينهم وعباداتهم. وكل أعمالهم الدينية، فإن من السهل اليسير عليهم أن يعلموا ليصلحوا وتصلح عقائدهم وأعمالهم ومقاصدهم ونواياهم، كما يسر الله عليهم العلم بكل أسباب حياة الحيوان، فجودوها وتفننوا فيها، فانقلبت عليهم حسرة وشقاءً لأنهم لم يصلحوها بعلم الدين وعقائده وعباداته التي تصلح القلوب وتهذب النفوس، وتزكي الأرواح والأعمال. فكانوا من الخاسرين في دينهم ودنياهم وآخرتهم. وما ظلمهم الله شيئًا ولكن الناس أنفسهم يظلمون.

وإن من السنن التي لا تتبدل: أن الخبيث لا يلد إلا خبيثًا، والطيب لا يلد إلا طيبا، والجهل لا يثمر إلا جهلا، وأن العلم يثمر علما، والحسن يثمر حسنا، والسوء يثمر سوءا، فكلما حرص الناس على الجهل، ورضوه طريقًا، والتمسوه عذرا، وركنوا إليه: كلما ازدادوا عمى وجاهلية وضلالا وبعدًا عن غايتهم النافعة، فازدادوا إساءة وخبثا في العقائد والأعمال، وازدادت حياتهم سوءا وخيبة، وشقاء ونكدا، ثم ازدادوا بعد ذلك غفلة وموتا في النفوس والضمائر، وقسوة في القلوب، وبعدا عن الإنسانية بمميزاتها الكريمة، وإيغالا في الهمجية والوحشية القاسية، فتكون حياتهم أنكد وأشقى، وهم لا يحاولون أن يحسوا ولا يشعروا بما هم فيه. وإن شعروا في بعض الفترات ذهبوا بجاهليتهم يحاولون الخروج، فيزدادون بتلك المحاولة - الغافلة الجاهلة - ارتكاسا وانغماسا في النكد والشقاء، وقامت الهمجية والوحشية القاسية في طريقهم سدًا وهميًا تردهم إلى شر مما كانوا فيه.

والذي يمزق القلوب حسرة: أن المسلمين - وعندهم هذا القرآن المبين - الذي حفظه الله كما أنزل، آياته بينات، وهداه واضح، وطريقه أبلج، وهدي رسول الله ﷺ يزيد القرآن بيانا، ويزيد محجته بياضا - يعمون عن هذا الهدي، ويذهبون في أشد عمى وصمم وبكم يلتصقون بالغرب الظالم الباغي، ويقفون في ذلة الوضيع، ومهانة الحقير، وصغار الحشرات: يلتمسون منه أسباب الحياة الراضية، والعيش الهنيء، والأمن والعافية للفرد والمجتمع، وهم يقرءون في الصباح والمساء من أخبار هذا الغرب القاسية: ما هو أوضح برهان على أن هذا الغرب بجميع نظمه الديموقراطية والاشتراكية والبلشفية وغيرها، متغلل في أنكد عيش وأشقى حياة، وأنه يعيش بماله الوفير وأدواته الضخمة، وآلاته وصناعاته وفنونه الحربية وغير الحربية على فوهة البركان، الذي يغلي بوحشيتهم وأحقادهم، وبغيهم وظلمهم وفسادهم، وفسوقهم ومعاصيهم، وأنهم - رجالا ونساء، وحكامًا ومحكومين، ورؤساء ومرءوسين

- يعرفون ذلك، وينتظرونه في كل لحظة، من ليل أو نهار، فلا ينام واحد منهم إلا وهو يحلم بأن بأس الله واقع به، وأن القنبلة الذرية أو الهيدروجينية من فوق رأسه، تنتظر أمر الله أن تنفجر، فتدمر عليه مدينته أو قريته، ولا يصحو من نومه ويذهب إلى عمله بالنهار إلا ويساوره هذا التخوف، فتظلم عليه آفاق حياته مهما ترامت أطرافها، وينغص عيشه مهما توفرت فيه بزعمه أسباب الترف.

عجيب والله أشد العجب من غفلة المسلمين، وشدة عماهم عن هذه الحقائق التي هي عندهم بدهية، يتحدث بها عامتهم وخاصتهم، ورجالهم ونساؤهم، ثم يتعلقون - بعد هذا، ومع هذا - بأذيال هذا الغرب الشقي البائس بكل ألوان الشقاء والبؤس، ويقفون منه هذا الموقف الذليل، يستجدونه ما يزعمونه علاجا وإصلاحا للمجتمع، وأسبابا للحياة القوية الآمنة، فلا يؤتيهم إلا حثالة الفساد، ورواسب السوء والفحشاء والمنكر، ثم يرفعون عقيرتهم بأنهم أخذوا مما يعطيهم الحضارة والرقي، ورفه العيش وطيب الحياة؟!

أترون الحياة الآمنة، والعيش الهني بوفرة المال وكثرة المادة، وانطلاق الحيوانية فيكم من عقال الإنسانية المميزة الرشيدة، لتقول من الزور والمنكر ما تشاء باسم «الحرية» ولتفعل من فعال الإثم والفواحش ما تشاء باسم «الحرية» وتأتي من الكفر والفسوق وتروج لهما بما تشاء باسم «الحرية»؟ وتنتهكون الحرمات وتقتلون كل فضيلة، وتحاولون تحطيم سنن الله في المرأة والرجل باسم «الحرية والمدنية» أترون ذلك يؤتي الله به الحياة الآمنة والعيش الهني؟ فقد بلغتم وبلغ إلهكم الغرب من تلك «الحرية والمدنية» الغاية، فأين هي الحياة الآمنة، والعيش الهني يا أيها الناس؟ فإن زعمتم أن قد أوتيتموها، فمالكم تنعقون الليل والنهار بكل لسان وقلم، وتصرخون طالبين إصلاح الفرد والأسرة والمجتمع، ومعالجة ما زعمتموه عدو المجتمع - من الجهل والمرض والفقر - وكلما زدتم مما زعمتوه، كلما ارتفع صوتكم بالشكوى من المتعلمين، وكلما صَحَّت أجسامكم كلما زادت وحشيتها وتكالبها على الفساد، وكلما توفر المال في أيديكم كلما كنتم أشد ضراوة في الفساد، وعداوة لأنفسكم، وأشد انتهاكا للحرمات وإيغالا في الشر والفساد؟

ألا أيها الناس ثوبوا إلى رشدكم، وراجعوا دينكم، فاقرءوا كتاب ربكم وافهموه، واعرفوا رسولكم، واقرءوا بيانه لما أنزل إليه من ربه وافقهوه، لتعرفوا الإسلام الصحيح، فتعالجوا أمراضكم به، وحكموه في كل شأنكم، فتصحوا وتطيب لكم الحياة ويهنأ العيش، وتعودوا قادة الأمم إلى العدل والرحمة، كما كان سلفكم بهذا الإسلام الصحيح، من كتاب الله وهدي رسوله: خير أمة أخرجت للناس، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويؤمنون بالله، ولو أن المسلمين ساروا في حياتهم على هدي الإسلام الصحيح - لا الإسلام الوراثي التقليدي المذهبي العصبي الزائف - لعرفوا كيف ينتفعون بنعم الله عليهم، فاتخذوا من موسم الحج أكرم وأفضل مؤتمر إسلامي، يجمع كلمتهم، ويوحد وجهتهم، ويجعل منهم قوة رشيدة غالبة تُرهب العدو، وتسبق في كل سبل الحياة العزيزة إلى أبعد غاية. وما كان لثرواتهم المعدنية وغيرها أن تتفلت من أيديهم إلى أيدي أعدائهم، يستخدمونها في الضغط عليهم وإضعافهم واستعمارهم.

وإن مما يبشر بيقظة المسلمين وتفتح عيونهم: هذه النهضات المتوثبة في مصر والمملكة السعودية وغيرهما من بلاد الشرق الإسلامي. حقق الله الأمل فيها، وأخذ بها إلى سبيل الرشد والحكمة للمسلمين.

أثر التوحيد في أفعال العبيد

اللجنة العلمية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد.

فالإيمان والتوحيد مِنَّة من الله على العبيد، قال تعالى: ﴿بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ﴾ [الحجرات:١٧].

والتوحيد شرف وعز للعبيد عند الحميد المجيد: ﴿قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي (١٤) فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ﴾ [الزمر:١٤، ١٥].

﴿قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ﴾ [الأنعام:٥٧].

﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ﴾ [هود:٨٨].

وبالتوحيد جمع الله تعالى شتات الأفكار، وألف بين قلوب الموحدين من مختلف الأمصار والأقطار. ووحد بين الأعداء الأشرار فأصبحوا بنعمة الله تعالى من الأخيار.

وبالتوحيد آخى الإسلام بين المهاجرين والأنصار، حتى قال سعد بن الربيع الأنصاري لعبد الرحمن بن عوف المهاجري: «أنا أكثر أهل المدينة مالاً ، فانظر شطر مالي فخذه وتحتي امرأتان فانظر أيتهما اعجب إليك حتى أطلقها لك، فقال عبد الرحمن : بارك الله لك في أهلك ومالك، دلوني على السوق». *[صحيح الترمذي ح ١٥٧٧].*

وبالتوحيد تغيرت الخنساء من امرأة جاهلة تلطم الخدود وتشق الجيوب وتدعو بدعوى الجاهلية لموت أخيها صخر؛ إلى امرأة مسلمة عاقلة عالمة عاملة بالتوحيد، قدمت بنيها الأربعة للقتال في سبيل الله وهي تحرضهم على القتال ؛ فقتلوا جميعًا، فبلغها الخبر، فقالت: الحمد لله الذي شرفني بقتلهم وأرجو من ربي أن يجمعني بهم في مستقر رحمته، قالوا : وكان عمر بن الخطاب يعطي الخنساء أرزاق أولادها الأربعة حتى قبض، ويقال إنها دخلت على عائشة وعليها صِدار (القميص القصير) من شَعر فقالت لها: يا خنساء ، هذا نهى رسول الله ﷺ عنه فقالت: ما علمتُ . [الإصابة ج٧ ص٦١٦].

وبالتوحيد ربط بعض الأخيار أنفسهم في سواري مسجد رسول الله ﷺ لما رأوا أنهم وقعوا في مخالفات شرعية وأقسموا ألا يفكهم أحد إلا رسول الله، فأنزل الله فيهم توبته.

قال أبو لبابة : والله ما زالت قدماي حتى علمت أني قد خنت الله ورسوله ، فنزلت هذه الآية ، فلما نزلت شد إلى سارية من سواري المسجد وقال : والله لا أذوق طعامًا ولا شرابًا حتى أموت أو يتوب الله علي. [تفسير القرطبي ج٧ ص٣٩٤].

وبالتوحيد تآلف المهاجري مع الأنصاري يوم أن نزغ الشيطان بينها فاستنفر المهاجري قومه قائلا: «يا للمهاجرين» وقال الأنصاري: «يا للأنصار» فقال النبي ﷺ: «دعوها فإنها منتنة» *[صحيح الترمذي ح ٢٦٤٧]*. فتركوها وأنابوا إلى الله وذلك ثمرة التوحيد.

ولما اتهم رجل عمر بأنه لا يعطي الجزل ولا يحكم بالعدل، فغضب عمر رضي الله عنه وأراد أن يؤدبه، فقال له ابن أخيه: يا أمير المؤمنين، إن الله تعالى يقول: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف:١٩٩] وهذا من الجاهلين، فما جاوزها عمر، وكان وقافًا عند كتاب الله. [البخاري] وذلك من أعظم ثمرات التوحيد.

التوحيد جعل ابن مسعود يصلي أربع ركعات خلف عثمان في منى وهو يعلم أنها ركعتان فقط، فقيل له : عبت على عثمان ثم صليت أربعًا ؟ قال : «الخلاف شر». وقال : فلوددت أن لي من أربع ركعات ركعتين متقبلتين. *[سنن أبي داود ج٢ ١٩٩]*.. حقًا إنما يتقبل الله من المتقين.

التوحيد جعل أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها لا تخوض في حق ضرتها عائشة في حادث الإفك وقد خاض كثير من الناس، قالت عائشة : وكان رسول الله ﷺ سأل زينب بنت جحش زوج النبي ﷺ عن أمري: «ما علمتِ أو ما رأيتِ؟» فقالت: يا رسول الله، أحمي سمعي وبصري، والله ما علمتُ إلا خيرًا، قالت عائشة : وهي التي كانت تساميني - أي تنافسني في الجمال - من أزواج النبي ﷺ فعصمها الله بالورع.

والتوحيد علم العبيد أن سباب المسلم فسوق وقتاله كفر، ولَعْنَه كقتله. كما علمنا التوحيد أدب الاختلاف والخوف من الله ﴿لَئِنْ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ [المائدة:٢٨].

وقد علمنا التوحيد احترام الآخرين وعدم تسفيه رأي المخالفين، وقد التزم السلف ذلك، قال الشافعي رحمه الله: قولي صواب يحتمل الخطأ، وقول غيري خطأ يحتمل الصواب.

فلماذا لم تظهر آثار التوحيد وثمار شجرته على خلف الأمة كما ظهرت على سلفها؟ حتى بدت وكأنها ممنوعة أو على الأقل مقطوعة، في حين أن شجرة التوحيد مباركة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها.

الذي يظهر - والله أعلم - أن الذي سبب هذه الفجوة بين السلف والخلف، أن السلف رضي الله عنهم كانوا يتعلمون التوحيد بلوازمه السلوكية والأخلاقية حتى إن أحدهم كان يُسأل عن بعض المعاصي فيقول: «وهل يفعل ذلك أحد من المسلمين؟».

عن سعيد بن يسار قال : قلت لابن عمر : ما تقول في الجواري حين أحمض لهن ؟ قال : وما التحميض ؟ فذكرت الدبر ، فقال : هل يفعل ذلك أحد من المسلمين . [سنن الدارمي ج١ ص٢٧٧].

وآخر يُسأل عن أخذه أرض إحدى المسلمات فيقول: «أنا آخذ أرضها بعد الذي سمعت من رسول الله؟». [مسلم].

وثالث يقول مثبتًا أنه لن يتخلف عن رسول الله ﷺ في الجهاد: «لقد آمنا بك وصدقناك وعلمنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا». [سيرة ابن هشام].

ولما سئل أحد أصحابه ﷺ عن اتيان المرأة في دبرها فقال: «أتسألني عن الكفر». سُئل ابن عباس عن الذي يأتي امرأته في دبرها ، فقال: هذا يسألني عن الكفر.

التوحيد جعل امرأة ثابت بن قيس لا تقبل الكفر في الإسلام . عن ابن عباس أن امرأة ثابت بن قيس أتت النبي ﷺ فقالت : يا رسول الله، ثابت بن قيس ما أعتب عليه في خلق ولا دين ولكني أكره الكفر في الإسلام . [البخاري ج٥ ص٢٠٢١].

قال ابن حجر في «فتح الباري» (ج٩ص٤٠٠): قال الطيبي : المعنى أخاف على نفسي في الإسلام ما ينافي حكمة من نشوز وفرك (كراهية) وغيره مما يتوقع من الشابة الجميلة المبغضة لزوجها إذا كان بالضد منها، فأطلقت على ما ينافي مقتضى الإسلام الكفر ويحتمل أن يكون في كلامها إضمار ، أي أكره لوازم الكفر من المعادة والشقاق والخصومة.

لقد بين رسول الله ﷺ أن القلب الذي هو محل الاعتقاد والتصديق، إذا صلح صلح السلوك وإذا فسد فسد السلوك: «ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح لها سائر الجسد وإذا فسدت فسد لها سائر الجسد ألا وهي القلب» متفق عليه.

وتوحيد العبادة الذي هو توحيد الألوهية وهو إفراد الله بأفعال العبيد لن يكون أبدًا توحيدًا خبريًا علميًا نظريًا فقط، بل الواجب أن يكون عمليا بحيث يشمل السلوك والأخلاق والمعاملات، فالذي يهمل هذا الجانب العملي؛ ماذا حقق من توحيد العبادة؟

ألا ترون أن النبي ﷺ حين أخبرنا أن الله عز وجل يحب التوحيد من عباده؛ قرن بحبه ذلك حبه للسلوك والخلق الحسن ! فقال ﷺ: «إن الله يرضى لكم ثلاثًا... فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا». وفي مقابل هذا بين النبي ﷺ بغض الله تعالى وكراهيته للسلوك الشائن والخلق الذميم والسفاهة في استخدام المال فقال ﷺ: «ويكره لكم ثلاثًا: القيل والقال، وكثرة السؤال وإضاعة المال».

إن القيل والقال وكثرة السؤال ونصب الحِلق وتقليب الأحاديث والكلام علامة على الملل من العبادة وثقل العمل وقلة الورع وقسوة القلب.

دخل الحسن يومًا المسجد ومعه فرقد فقعد إلى جنب حلقة يتكلمون فنصت لحديثهم، ثم أقبل علي فرقد فقال: يا فرقد؛ والله ما هؤلاء إلا قوم ملوا العبادة ووجدوا الكلام أهون عليهم من العمل وقل ورعهم فتكلموا. *[حلية الأولياء ج٢ - ١٥٧]*.

وعنه قال: «ولا يزال العبد بخير ما إذا قال لله وإذا عمل عمل لله عز وجل».

إن التوحيد يعني الإيمان الكامل بالله تعالى، والإيمان عند أهل السنة والجماعة - كما هو معلوم - قول وعمل ويزيد وينقص - فيزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي وقد وردت النصوص الكثيرة بذلك، بل قد لخص رسول الله ﷺ دعوته ورسالته بقوله صلوات الله وسلامه عليه: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» *[السلسلة الصحيحة ٤٥]*. وقال ﷺ في شأن حسن الخلق: «.. وزعيم ببيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه» أبو داود. وقال أيضا: «أكمل المؤمنين إيمانا أحاسنهم أخلاقاً، الموطؤون أكفاناً، الذين يألفون ويؤلفون، ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف». *[السلسلة الصحيحة ٧٥١]*.

إن مثل هذا التوجيه والإرشاد لابد أن ينتفع به كل أحد من المسلمين ، فما منا إلا مقصر ومذنب ومفرط، والعجيب أن تمر التذكرة على البعض فيتعمد الإعراض والغفلة، ظنًا منه أن غيره هو الأولى بهذا النصح، في الوقت الذي وصف الله تعالى أهلى خشيته وتقواه أنهم ﴿ إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون ﴾.

بقي أن نقول إن ممن فاته الحظ الوافر من عمل الجوارح وخضوعها لله الذي يعبر عن خضوع القلب؛ أناس إذا سمعوا الموعظة طرحوها على غيرهم ظنًا منهم أنهم مزكون دائما، وعلى الآخرين أن يتعظوا، والسلف كانوا بخلاف ذلك، فكانوا يتواعظون ويقول أحدهم: تعالوا بنا نؤمن ساعة، ولا أعظم من قول الله تعالى الذي يصف حال الموحدين : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا ﴾ [الأنفال:٢].

فعلى المؤمن أن يستفيد ويستزيد ليحقق المعنى الصحيح للإيمان والتوحيد؛ قولا وعملا، قلبا وجارحة وعلى المؤمن ألا يفوته الوصف الجميل الذي وصف الله به عباده الموحدين وبشرهم ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ (١٧) الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [الزمر:١٧،١٨].

والحمد لله رب العالمين.

الخصام خصلة ذميمة

بقلم / صلاح عبد الخالق

الخصام آفة من آفات اللسان، ومدخل كبير للشيطان، ومدمر للقلب والأركان، يُفرق بين الأحبة والإخوان، ويحرم صاحبه الأمن والأمان، ويدخله النيران ويبعده عن الجنان، فالصلح خير في كل زمان ومكان.

آفات الخصام وأخطاره

(١) البغض من الله تعالى:

في صحيح البخاري (٢٤٥٧) عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «إن أبغض الرجال إلى الله الألدُّ الخَصِم» والألد الخصم: الشديد الخصومة.

(٢) مخالفة هدي النبي ﷺ:

في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تَهجُروا ولا تدابروا ولا تجسسوا ولا يبع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله إخوانا».

قال الإمام النووي: لا تهجروا: المراد النهي عن الهجرة ومقاطعة الكلام. شرح مسلم (١٢٠/١٦) اعلم أن التهاجر والتدابر والتجسس وبيع المسلم على بيع أخيه تؤدي إلى الخصام وإلى قطع أواصر الأخوة وقد نهانا ﷺ عن ذلك سدًا للذريعة.

(٣) طاعة الشيطان:

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ...﴾ [المائدة:٩١].

في صحيح مسلم عن جابر قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب ولكن في التحريش بينهم».

قال الإمام النووي: هذا الحديث من معجزات النبوة ومعناه أيس الشيطان أن يعبده أهل جزيرة العرب ولكنه سعى في التحريش بينهم بالخصومات والشحناء والحروب والفتن ونحوها. شرح مسلم (١٥٦/١٧).

والسؤال الآن: لماذا حدد ﷺ ثلاث ليال كحد أقصى للهجر والخصام؟!

الإجابة عند الحافظ ابن حجر قال: وهو من الرفق لأن الآدمي في طبعه الغضب وسوء الخلق ونحو ذلك والغالب أن يزول أو يقل في الثلاث، فتح الباري (٥١١/١٠).

قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة:١٢٨].

ولا ينبغي أن يزيد في الخصام عن ثلاث ليال بدون عذر شرعي؟

في صحيح سنن أبي داود (٤١٠٧) عن أبي حراش حدرد بن أبي حدرد الأسلمي رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول: «من هجر أخاه سنة فهو كسفك دمه».

قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ (٢٠٤) وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ (٢٠٥) وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ [البقرة:٢٠٤-٢٠٦].

هذا تهديد ووعيد من الله عز وجل لمن كان هذا حاله من الخصومة والفساد والتكبر على العباد، تكفيه جهنم بسمومها وحرها.

وفي سنن أبي داود والنسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث فمن هجر فوق ثلاث فمات دخل النار».

(٤) انعدام الراحة النفسية:

كلما رأيت من تخاصمه أو تسمع اسمه يتغير قلبك ولونك وكلامك وتود لو تشق الأرض وتبتلعه ولهذا قال معلم الأمة ﷺ: «لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال يلتقيان فيُعرض هذا ويعرض هذا»، وفي رواية مسلم: «فيصد هذا ويصد هذا».

(٥) تأخر رحمة الله عن المخاصم حتى يصطلح:

في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس فيُغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئا إلا رجلا كان بينه وبين أخيه شحناء فيقال أَنْظِرُوا هذين حتى يصطلحا أَنْظِرُوا هذين حتى يصطلحا أَنْظِرُوا

هذين حتى يصطلحا».

قال الباجي: معنى فتح أبواب الجنة كثرة الصفح والغفران ورفع المنازل وإعطاء الثواب الجزيل.

قال الإمام النووي أَنْظِرُوا هذين: أخروهما حتى يرجعا إلى الصلح والمودة. شرح مسلم (١٢٢/١٦).

فيا من تخاصم الناس، لك أن تتخيل أن كل الموحدين يُغفر لهم ذنوبهم كل اثنين وخميس وأنت مطرود مبعد عن هذا كله، والسبب الحقد والعداوة والبغضاء الناتج عن الخصام.

(٦) الخصام سبب في قطع الأرحام:

نسمع كثيرًا أن فلانًا يخاصم أمه أو أباه أو يخاصم أخته وأخاه وكل ذلك عقوق وقطيعة للأرحام.

في الصحيحين عن جبير بن مطعم أن رسول الله ﷺ قال: «لا يدخل الجنة قاطع رحم».

(٧) فقدان التعاون وضعف الروابط بين المسلمين:

انعدام التعاون بين المسلمين بسبب كثرة المشكلات الناتجة عن الخصام.

العــــلاج

(١) اكظم غيظك لله تعالى:

قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران:١٣٣،١٣٤].

(٢) اعف عمن ظلمك

قال تعالى: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلاَ تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النور:٢٢].

كلمات تنخلع لها القلوب إذا أردت أن يعفو ويغفر لك علام الغيوب فاعف عمن ظلمك.

(٣) ابدأ أنت بالصلح والسلام:

في الصحيحين عن أبي أيوب الأنصاري أن رسول الله ﷺ قال: «لا يحل لرجل أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام» زاد الطبري: «الذي يبدأ بالسلام يسبق إلى الجنة».

(٤) راجع نفسك:

اسأل نفسك لماذا أخاصم فلانًا؟ إذا كانت الخصومة في الباطل أو بسبب كلام تافه فاتق الله وأسرع في الصلح قبل فوات الأوان، وإذا كانت الخصومة بسبب ديون أو مواريث أو حقوق شرعية فالجأ إلى أهل التقوى والعلم والإيمان.

واجب المجتمع المسلم

الواجب عندما يعلم أحد من أبناء المجتمع المسلم أن هناك خصومة بين فلان وفلان أن يعجل في الصلح بشتى الوسائل الممكنة وليكن مخلصا في ذلك لله عز وجل.

قال تعالى: ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ [النساء:١٢٨].

قال تعالى: ﴿لاَ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء:١١٤].

في هذه الآية وعد من الله عز وجل لمن يُصلح بين الناس بالأجر العظيم وعدم تحديده دليل على أنه أجر عظيم يقدر بقدر مانحه.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات:١٠].

اعلم أن إصلاح ذات البين من مفاتيح رحمة الله تعالى فلا تتخلى عن هذا المفتاح أبدًا.

في صحيح سنن الترمذي (٢٠٣٨) عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة قالوا بلى: قال إصلاح ذات البين فإن فساد ذات البين هي الحالقة» وزاد الإمام أحمد في مسنده: «لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين».

أخي المسلم الحبيب

اسع في الصلح بين الناس وتاجر مع رب الناس بهذا الصلح بكل جهدك، وإن لم يتم الصلح.

اعلم يا من تصالح الناس أن رسولنا الكريم ﷺ أباح لك الكذب حتى تصل الحلقات المفقودة ويتم الصلح بإذن الله.

في صحيح البخاري (٢٦٩٢) عن أم كلثوم بنت عقبة أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ليس الكذاب الذي يُصلح بين الناس فينمي خيرا أو يقول خيرا».

قال ابن حجر: ينمي خيرا: بلّغه على وجه الإصلاح وطلب الخير. فتح الباري (٣٥٣/٥).

اللهم ألف بين قلوبنا واجمعنا على طاعتك وفي الفردوس الأعلى من جنتك.

والله ولي التوفيق

أطفال المسلمين، كيف

الحلقة الثانية عشرة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.. وبعد:

ففي هذه الحلقة- إن شاء الله- نبين حرص النبي ﷺ على تعليم الأولاد حفظ الأسرار، وآداب الأكل، وكذلك حثه ﷺ الآباء على العدل بين الأبناء، وعلى الله قصد السبيل.

(٥٢) ويعلمهم ﷺ حفظ الأسرار:

فعن عبد اللَّه بن جعفر رضي اللَّهُ عنهما قال: أردفني رسول اللَّه ﷺ ذات يوم خلفه، فأسرَّ إليَّ حديثًا لا أحدِّث به أحدًا من الناس(١).

ولا شك أن ائتمان النبي ﷺ الطفل على السر يبني جسورًا من الثقة في نفسه، فيشعر بأهميته وأهمية ما يحمله من أسرار، فيحفظ السر كما حفظه أنس عندما أرسله رسول اللَّه ﷺ فتأخر على أمه، فقالت له: ما حبسك- أي ما أخرك- قال: بعثني رسول اللَّه ﷺ لحاجة، قالت: ما حاجته؟ قال: إنها سر، فقالت له: لا تخبرن بسر رسول اللَّه ﷺ أحدًا. وأخفى أنس السر عن أمه، وكذلك أخفاه عن ثابت الذي سمع منه الحديث، وقال له: واللَّه لو حدَّثتُ به أحدًا لحدثتك يا ثابت(٢).

(٥٣) ويأكل معهم ويوجههم ويصحح أخطاءهم أثناء الأكل:

كثيرًا ما كان النبي ﷺ يأكل مع الأطفال، وهي فرصة بلا شك أن يتعلم هؤلاء من معلمهم الأعظم آداب الأكل، فلم يكن ثمة معلم أحسن تعليمًا ولا أحرص على تربية النشء منه ﷺ.

يقول عمر بن أبي سلمة رضي اللَّهُ عنهما: كنت غلامًا في حَجْر النبي ﷺ فكانت يدي تطيش في الصحفة (الإناء)، فقال لي رسول اللَّه ﷺ: «يا غلام، سَمِّ اللَّه وكل بيمينك وكل مما يليك» فما زالت تلك طعمتي بعد(٣).

ولا بد من وقفة ها هنا لننظر إلى التوجيهات العملية السريعة ؛ وما يقابلها من سرعة الاستجابة، ودوام الاستقامة (فما زالت تلك طعمتي بعد)، فهذا كله ما أتى من فراغ ؛ ولكنه نتيجة خطوات صحيحة، وتربية سليمة، بُذِلت مع أمثال هؤلاء الأطفال في جميع نواحي حياتهم، في فرحهم وحزنهم، في لعبهم وجدهم، في تنويمهم وإيقاظهم، في نصحهم ومداعبتهم، في إعطائهم حقوقهم والاعتراف بكيانهم، في الصدق معهم وعدم إهمالهم، في مأكلهم في مشربهم في ملبسهم... وهكذا.

فكانت النتيجة كما رأينا ؛ ثمرة حلوة نضيجة (فما زالت تلك طعمتي بعد).

ومثله الغلام عبد اللَّه بن عمر، كان لا يقوم الليل، فقال له النبي ﷺ: «نعم الرجل عبد اللَّه لو كان يصلي من الليل». فكان عبد اللَّه بعد ذلك لا ينام من الليل إلا قليلاً(٤).

فهذه أيضًا من الثمار السريعة، هل جاءت هي الأخرى من فراغ؟ وهل عرفتَ أخي المربي أن الأسلوب النبوي في التربية هو خير أسلوب ؛ وهو أقصر طريق للوصول إلى الثمرة النضيجة ؛ وهي أبناؤنا ثمرات أفئدتنا وفلذات أكبادنا؟

وعن أبي هريرة قال: أخذ الحسن بن عليٍّ رضي اللَّهُ عنهما تمرة من تمر الصدقة فجعلها في فيه (فمه)، فقال رسول اللَّه ﷺ: «كخْ كخ(٥)، ارْمِ

ربّاهم النبي الأمين ﷺ

إعداد: جمال عبد الرحمن

بها، أمَا علمتَ أنَّا لا نأكل الصدقة»(٦)؟ وهنا ينهاه النبي ﷺ بكلمة زجر لطيفة، ثم يعلل ﷺ للطفل سبب النهي أن النبي صلى عليه وسلم وآله لا تحل لهم الصدقات، لتكون قاعدة عامة في حياته مستقبلاً.

وعن حذيفة رضي الله عنه قال: كنا إذا حضرنا مع النبي ﷺ طعامًا لم نضع أيدينا حتى يبدأ رسول الله ﷺ فيضع يده، وإنا حضرنا معه مرّة طعامًا فجاءت جارية كأنها تُدفع لتضع يدها في الطعام، فأخذ رسول الله بيدها.. ثم قال: «إن الشيطان يستحل الطعام ألا يُذكر اسم الله تعالى عليه، وإنه جاء بهذه الجارية ليستحل بها فأخذْتُ بيدها...»(٧).

ومن آداب الأكل التي ينبغي للطفل تعلمها:

١- ألا يأخذ الطعام إلا بيمينه.

٢- وأن يقول عند أخْذه: بسم الله(٨)، وفي نهايته: الحمد لله.

٣- وأن يأكل مما يليه، ويصغِّر اللقمة، عملاً بقول المصطفى ﷺ: «وكُلْ مما يليك».

٤- وألاّ يبادر (يسرع) إلى طعام قبل غيره.

٥- وألاّ يُحَدِّق النظر إليه ولا إلى من يأكل.

٦- وألاّ يسرع إلى الأكل، وأن يجيد المضغ.

٧- وألا يوالي بين اللقم.

٨- وألا يلطخ وجهه ولا ثوبه.

٩- وألا يذم أي طعام، فإذا أعجبه أكله. وإلا تركه من غير ذمٍّ.

١٠- وأن يُعَوَّد الخبز القفار (بغير إدام) في بعض الأوقات حتى لا يصير بحيث يرى الأُدْمَ حَتما، وأن يُقبَّح عنده كثرة الأكل ؛ بأن يشبه كل من يُكثر الأكل بالبهائم، وبأن يُذم بين يديه الصبي الذي يُكثر الأكل، ويُمدح عنده الصبي المتأدب، القليل الأكل، وأن يُحبب إليه قلة المبالاة بالطعام، والقناعة بالطعام الخشن.

الهوامش

(١) مسلم، كتاب الحيض ٥١٧ .

(٢) مسلم، كتاب فضائل الصحابة ٣٤٥٣ .

(٣) البخاري، كتاب الأطعمة ٤٩٥٧ .

(٤) مسلم، كتاب فضائل الصحابة ٤٥٢٨.

(٥) كلمة زجر معَرَّبة، أصلها فارسي.

(٦) البخاري، كتاب الجهاد والسير ٢٨٤٣ . ومسلم كتاب الزكاة ١٧٧٨، وهذا لفظ مسلم.

(٧) مسلم، كتاب الأشربة. وأحمد، باقي مسند الأنصار ٢٢١٦٥.

(٨) الصحيح المأثور « بسم الله » لقوله ﷺ: « إذا أكل أحدكم طعامًا فليقل بسم الله، فإن نسي في أوله؛ فليقل: بسم الله في أوله وآخره ». صحيح سنن ابن ماجه للألباني ح١٨٥٨ .

ركن الأسرة

بين حنو الآباء وصلاح الأبناء

بقلم / أحمد عز الدين

الحمد لله والصلاة والسلام على رسل الله وخاتمهم محمد بن عبد الله.. وبعد.

قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾ [الفرقان: ٥٤].

في هذه الآية الكريمة برهانٌ على كمال قدرة الله عز وجل وكمال حكمته.. فهذا الإنسانُ جاء من نُطفةٍ مهينةٍ كانت مُغيبة في أصلاب آبائه.. ثم هو ينتسب إلى أبيه، ويعيش في ظلال أسرته متمتعًا بالعطف والرعاية والكلاءة بما أودعه الله في قلبي أبيه وأمه من الرحمة والحنان.

الأسرة السليمة

وتكوين الأسرة السليمة هو الأساسُ الملائم لفطرة الإنسان. والعمادُ القويُّ الذي لا غنى عنه لبناء الأمة التي تتضح فيها الأنساب، ويتمتع الفردُ فيها بالانتماء إلى آبائه وأسرته.. وفي ظلال الدين القيم تزدهر العلاقات الأسرية وتنمو العواطف الشريفة في النفوس. بفضل آداب الدين وتوجيهه وتكتسي الأسره دعمًا قويًا وروابط جلية بفضل حسن التربية والتأكيد على بر الوالدين والتعاون والمودة والرحمة بين أفرادها وأيضًا العمل على رعاية الأقارب والأرحام والأصهار، وتفقُّد أحوالهم وإيصال البر والخير إليهم ولو بالسؤال والكلمة الطيبة.

الولد الصالح

الولد الصالح نعمةٌ ورحمةٌ. وبهجة لقلب أبويه، ودُرَّةٌ ثمينة في عقد أسرته وعمل صالح لأمته. لأن الولد إذا نشأ في بيئة طيبةٍ ورُبِّيَ تربية سليمةً وغذِّيَ بالقيم العالية الثابتة نَفَعَ نفسه ونفع المجتمع وكان للخير محبًا وعليه مُعينًا وللشر مُبغضًا مجتنبًا. فهذا أبو هريرة رضي الله عنه نعم الابن الصالح البار بأمه نشأ يتيمًا فتولت أمه رعايته وأعطته من الحنان والسهر والخدمة فوق ما يمكن أن يقدِّمه الولد البار لأمه وهو كبير أضعافًا

مضاعفة مهما سهر لأجلها ومهما أسمعها لطيف القول وحَسَن الكلام، ولما كبر أبو هريرة أحب أمه وكانت تملأ عليه حياته، ودأب في الحصول على مرضاتها، شأنه في ذلك شأن كل ابن سليم العقل، مستقيم الفكر، نقي القلب، سوى النفس، حَسَن الخلق، يعطي كل ذي حق حقه، ثم أسلم أبو هريرة وشرح الله صدره للحق والهدي وأحب محمدًا ﷺ وآمن إيمانًا جازمًا عن يقين بأنه لا نجاة في الآخرة من عذاب النار وحر جهنم إلا باتباعه والاقتداء به. ولكن تخلفت أمه عن قبول الدعوة إلى الله وأبت الاستماع إلى دعوة الحق. فماذا يصنع الابن البار مع أمه التي يحبها وهي أولى الناس برحمته وبره والسعي لإنقاذها من أسباب العذاب والهلكة؟. فبدأ يدعوها مع الحفاظ على أدب الخطاب وخفض الصوت أمامها وما ادخر جهدًا ولا طاقة في خدمتها وبرها واللطف بها وإدخال السرور عليها. كان رضي الله عنه شفيقًا على أمه رحيمًا بها ينظر إلى الآخرة فيرعب من مصير أمه إذا هي بقيت على دين غير دين الإسلام، فقد كانت أميمة بنتُ صبيح بن الحارث الدوسي أمُ أبي هريرة تعبد الأوثان ثم صارت نصرانية ولكن بعد الإسلام لا يجوز أن تبقى على دين آخر غير دين محمد ﷺ. كان أبو هريرة يعرض عليها الإسلام وهو يقدم لها الطعام أو يضع لها الفراش لتستريح أو تنام.. في صبر وأدب وشفقة عليها ومع هذا هي تصر على ما هي عليه من كفر وضلال. بل وأحيانًا كانت تسمعه ما يكره في أحب إنسان إليه على وجه الأرض وهو رسول الله ﷺ. ولكم بكى بين يديها وهي تأبى دعوة الحق.. وفي صحيح مسلم يقول:

فأتيت رسول الله وأنا أبكي فقلت يا رسول الله إني كنت أدعو أمي إلى الإسلام فتأبى عليّ فدعوتها اليوم فأسمعتني ما أكره» وفي لفظ البخاري «ادع الله لها يا رسول الله» والنبي عليه الصلاة والسلام كان أشفق الناس بأمته «فدعا لها رسول الله» وكانت هذه الدعوة المباركة أسبق من خطى أبي هريرة إلى أمه يقول أبو هريرة: «فخرجت مستبشرًا بدعوة الرسول ﷺ» لفظ مسلم.

وفي لفظ البخاري يقول: «فأتيتها وقد أجافت عليها الباب» أي ردته وأغلقته. وفي الإصابة يقول: «فسمعت أمي حِسَّ قَدَمَيَّ فقالت: مكانك يا أبا هريرة. وسمعت خضخضة الماء» وهو صوت ماء يغسل به يقول «ولبست أمي دِرعَها «قميصها» وعجلت عن خمارها ففتحت الباب» أي أنها لم تتأن حتى تضع على رأسها ووجهها لشدة عجلتها إلى إدخال الفرح والسرور على ولدها فقالت: يا أبا هريرة إني أسلمت» وعند البخاري قال فأخبرت النبي ﷺ. فقلت: ادع الله لي ولأمي فقال عليه الصلاة والسلام: «اللهم حبب عبدك هذا - يعني أبا هريرة - وأمَّه إلى عبادك المؤمنين وحبّب إليهما المؤمنين».

وكانت دعوة مباركة من رسول الله فكان أبو هريرة حبيبًا لكل من يعرف ومن يراه.

وهذه صورة من البر والرحمة فيها إرشاد للأولاد وللأمهات والآباء فيما يليق أن يكون عليه أمر الأسرة وفيما تكون العلاقة بينهم وما تتسم به من الذوق الرفيع والعرفان بالجميل.

حجة الوداع

شعر: حسن أبو الغيط

حَجَّ الرَّسولُ وقد أَتَمَّ رسَالةً   والـلَّـهُ يعلمُ أنهُ الإتمامُ
واستشعرَ الموتَ القريبَ بحجهِ   والموتُ غيْبٌ شاءهُ العلامُ
بالحجِّ أعلنَ فاستعدَّ جَميعُهمْ   وأَتَوهُ يأتمُّون وهْو إمامُ
بالْكلِّ سارَ مِنَ المدينةِ قَاصِدًا   والقَصْدُ أكَّدهُ لهُ الإحرامُ
بعدَ الطَّوافِ سَعَى الرسولُ ولم يُحِلْ   وإلى مِنًى فِي ثامنٍ قَدْ قَامُوا
في التَّاسِعِ انطلقَ الرسولُ معرِّفًا   وهَنَا أَقامُوا اليومَ فهْوَ مُقَامُ
ظُهرًا تَحَرَّكَ للجُمُوعِ بخطبةٍ   خَطَبَ الرسولُ وأَصْغَتِ الأيامُ
قَالَ اسْمَعُوا فَلَعَلنَا لاَ نَلْتَقِي   هَذَا اللِّقَا مِنْ بَعْدُ يَا أَقْوَامُ
هَلْ كَانَ يعلمُ أَنَّه فِي عَامِهِ   سَيَمُوتُ ؟!.. لا نَدْرِي وَلاَ الأَعْوامُ
قَالَ الرَّسُولُ وكُلُّ قَولٍ حكْمَةٌ   لِمَنِ اصْطَفَاهُ الوَحْيُ والإِلْهَامُ
أَنَهَى الرَّسُولُ فَجَاءَهُ قَولُ السَّمَا   «اليَوْمَ أَكْمَلْتُ..» وكَانَ كَلامُ
فَرِحُوا وَيُفْرِحُنَا الكَمَالُ فَمَا الذي   أَبْكَاكَ يا عُمَرُ ؟!.. الكمالُ مَرَامُ
قالَ الكمالُ فَبَعْدَهُ النقْصَانُ ذَا   دَمْعٌ يَلُومُ صَنِيعَهُمْ وَيُلاَمُ
سَمِعُوا الرَّسولَ وقامَ بَعدُ مُصليًا   بِهمُو وَيُجْدِي السامِعِينَ قِيَامُ
وَأَتَى الغُروبُ فَرَاحَ مُزْدَلِفًا بِهَا   صَلَّى وبَاتَ وقَامَ بَعْدُ وقَامُوا
صَلَّى بِهِمْ فَجْرًا وقَامَ لَمَشْعَرٍ   وَمِنًى ويَرْمِي هَكَذَا وَيُرَامُ
وتَحَلَّلُوا والنَّحرُ فِيه طَعَامُهُمْ   وَأَفَاضَ طَافَ وطَافَتِ الأَيَّامُ
وَهُنَا ضُحىً خَطَبَ الرَّسولُ وَسَمْعُهُمْ   لِلْقَولِ إِنْ لَمْ يَفْعَلُوهُ حَرَامُ
والسَّعْيُ لِلمُتَمَتِّعِينَ الآنَ لاَ   لِلْقَارِنِينَ ... أَتَى مِنىً وَأَقَامُوا
وَرَمَى وَيْرَمِي الكُلُّ فِيهَا رَمْيَهُ   والْكُلُّ وَحْيٌ شَاءَهُ العَلاَّمُ
وَبِرَابِعِ العِيدِ اسْتَعَدَّ لنَفْرَةٍ   مِنْهَا لخِيفٍ حَيْثُ قَامَ وَقَامُوا
فِي الخَامِسِ انْطَلَقَ الرَّسَولُ مُوَدِّعًا   بِطَوافِهِ ... وكَذَلكَ الإِتْمَامُ
وَإِلَى المدينةِ عَادَ مِنْ أُمِّ القُرَى   لجِهَادِهِ أَيْضًا عَلَيْهِ سَلاَمُ

العفو

بقلم: صلاح عبد الموجود

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين... أما بعد:

العفو صفة من صفات الله عز وجل

فهو سبحانه وتعالى العَفُوُّ، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الشورى: ٢٥]، وقال سبحانه عن نفسه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ [الحج: ٦٠]، فهو سبحانه العفو مع تمام القدرة على الأخذ والعقاب، قال تعالى: ﴿إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ [النساء: ١٤٩]، وعظَّم سبحانه أجر العافين، فقال سبحانه: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠]، فكم عفا سبحانه عن ذنوب ومحا من خطايا؟ فهو سبحانه يتودد إلى خلقه وعباده، استمع إلى هذا النداء المرقق للقلوب: يقول سبحانه: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

وفي هذا اليوم المشهود يوم القيامة والعباد وقوف ينظرون؛ ينادي المولى جلَّ جلاله نداءً يسمعه الخلائق، ينادي العافين عن الناس، فقد روى الترمذي [حديث (٢٠٢١)] عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من كظم غيظًا وهو قادر على أن ينفذه دعاه الله على رؤوس الخلائق يوم القيامة حتى يخيره من أي الحور شاء».

العفو من صفة الأنبياء وشيم الصالحين

فهذا يعقوب عليه السلام يحرمه أولاده من ولده يوسف الذي تعلق به لصغر سنه وتسببوا في جراح قلبه وبياض عينيه، ثم لما جمع الله بينه وبين ولده قال أبناؤه: ﴿يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ (٩٧) قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [يوسف: ٩٧، ٩٨]. ولعل الأذى بلغ بيوسف من إخوته منتهاه، فقد حرموه من أبيه وهو طفل صغير، ثم ألقوه في غيابة الجب ولم يراعوا صغر سنه، ثم بيع عبدًا رقيقًا، ثم اشتراه عزيز مصر ليكون خادمًا أو ولدًا بالتبني، ثم حرم أعظم نعمة وهي نعمة العلم من أبيه النبي يعقوب، ثم جهلت امرأة العزيز قدره فراودته عن نفسه وغلقت الأبواب ثم دخل السجن بلا ذنب وكل ذلك يرجع إلى ذنب إخوته ورغم ذلك لما وقفوا أمامه: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ (٩١) قَالَ لاَ تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف: ٩١، ٩٢] حتى لم يتعرض لهم بأي نوع من الأذى ولكن شكر نعمة الله تعالى كما قال الله عز وجل: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [يوسف: ١٠٠].

ولقد ضرب النبي ﷺ أعظم المثل في العفو، فهذه قريش آذته وضيقت عليه وأخرجته، فلما مكنه الله منهم وعلا رؤوسَهُمْ أكثر من عشرة آلاف سيف قال لهم: «يا معشر قريش، ما ترون أني فاعل بكم؟ » قالوا: خيرًا، أخ كريم وابن أخ كريم. قال: «فإني أقول لكم كما قال يوسف لإخوته: لا تثريب عليكم اليوم، اذهبوا فأنتم الطلقاء»، ولما وصل النبي ﷺ المدينة بالغ ابن أُبي في إيذائه ﷺ كما روى البخاري [حديث (٤٥٦٦)] عن أسامة بن زيد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ ركب على حمار عليه قطيفة فدكية وأسامة وراءه يعود سعد بن عبادة في بني الحارث بن الخزرج قبل وقعة بدر مارًا بمجلس فيه أخلاط من المسلمين والمشركين، فقال عبد الله بن أُبَيٍّ مخمرا أنفه لا تغبِّروا علينا فسلم رسول الله ﷺ ودعاه إلى الله عز وجل وقرأ عليهم القرآن، فقال ابن أُبَيٍّ: أيها المرء، إنه لا أحسن مما تقول، فإن كان حقًا فلا تغشنا في مجالسنا، ارجع إلى رحلك فمن جاءك فاقصص عليه.

وفي غزوة من الغزوات تشاجر رجل من المهاجرين ورجل من الأنصار فلم يفوِّت عبد الله بن أبي الفرصة حتى قال: «لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل»، وهو الذي تولى كبر حادث الإفك نسجه من خياله وروج له بين ضعاف النفوس، ورغم ذلك يعفو عنه النبي ﷺ حتى أتاه عبد الله بن عبد الله بن أبي فقال: يا رسول الله، إن شئت أتيتك برأسه، فيقول له النبي ﷺ: «بل ارفق بأبيك». ولما مات ابن أبي كفنه النبي ﷺ في قميص ودفنه بعد أن صلى عليه، وعمر يقول: يا رسول الله، أنسيت ما فعل يوم كذا وكذا، ألم ينهك الله عنهم؟، فيقول له النبي ﷺ: «اسكت يا عمر، فإني خيرت واخترت، يقول الله تعالى: ﴿ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لاَ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴾، والله لو أعلم أن الله يغفر لهم بعد السبعين لاستغفرت له».

وقد عفا النبي ﷺ عن المرأة التي وضعت له السم في الشاة وهي يهودية، والحديث في البخاري (٢٤٧٤)، وعفا النبي ﷺ عن لبيد بن الأعصم اليهودي الذي سحر النبي ﷺ، والحديث في مسلم (٢١٨٩).

وعفا عن ثمامة بن أثال بعد أن جاء به محمد بن مسلمة فربط في سارية المسجد فخرج عليه النبي ﷺ فقال: ماذا عندك يا ثمامة؟ فقال: عندي خير يا محمد، إن تقتل تقتل ذا دم، وإن تنعم تنعم على شاكر، وإن كنت تريد مالاً فسل منه ما شئت، فترك حتى أعاد عليه السؤال، وبعد يومين قال النبي ﷺ: «اطلقوا ثمامة»، فما كان منه إلا أن انصرف إلى حائط فاغتسل ثم عاد فشهد ألا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ثم قال: والله ما كان على الأرض وجه أبغض إليَّ من وجهك، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه إليَّ، والله ما كان من دين أبغض إليَّ من دينك، فأصبح دينك أحب الأديان إليَّ، ما كان بلد أبغض إليَّ من بلدك فأصبح بلدك أحب البلاد إليَّ. [البخاري (٤٣٧٢)].

وعفا عن المشرك الذي اخترط سيف النبي ﷺ وشهره عليه وهو نائم ويقول له: من يمنعك مني يا محمد؟ فيقول ﷺ: «الله»، فسقط السيف من يد المشرك فوقع في يد النبي ﷺ، فقال للمشرك: «من يمنعك مني؟» فيقول: يا محمد، كن خير آخذ، فيعفو عنه النبي ﷺ. [البخاري (٢٩١٠)].

وعفا ﷺ عن أعرابي لقيه فأمسك بردائه وكان بردًا نجرانيًا غليظًا فحزَّ في رقبة النبي ﷺ والأعرابي يقول: أعطني من مال الله، فضحك النبي ﷺ وأمر له بعطاء. [البخاري (٣١٤٩)].

وعفا كذلك عن الأعرابي الذي بال في المسجد بعد أن هم به الصحابة رضي الله

عنهم، فقال لهم النبي ﷺ: «دعوه، ثم دعا بسجل من ماء فصبه عليه». [البخاري (٢٢٠)].

سجل الصحابة حافل بالعفو!!

فهذا أبو بكر رضي الله عنه كان ينفق على مسطح بن أثاثة، فلما تكلم مسطح في عائشة رضي الله عنها منع أبو بكر النفقة، فنزلت الآيات: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النور: ٢٢]، فقال أبو بكر: بلى أحب أن يغفر الله لي، وأعاد النفقة على مسطح.

وهذا عمر رضي الله عنه يدخل عليه عيينة بن حصن الفزاري فيقول على ملأ من جلساء عمر: هيه يا ابن الخطاب، إنك لا تعطي الجزل ولا تحكم بالعدل، فيهم به عمر فيقول ابن أخيه الحر بن قيس: يا أمير المؤمنين: يقول الله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾، قال: فوالله ما تعداها عمر.

وهذا عثمان رضي الله عنه قد فدى الأمة كلها بدمه، قيل له: ألا تقاتل الذين يحاصرونك؟ فقال رضي الله عنه: لأن ألقى الله بدمي خير من أن ألقاه بدماء المسلمين.

وهذا علي رضي الله عنه يأتيه رجل يعترف على نفسه بسرقة جمل فأمر علي بقطع يده، فرجع الرجل وقال: لم أسرق يا أمير المؤمنين، فتركه علي رضي الله عنه، فقيل له: لِمَ تركته وقد اعترف؟ فقال: أخذته بقوله، وتركته بقوله.

وهذا معاوية أمير المؤمنين رضي الله عنه كانت له أرض بجوار أرض عبد الله بن الزبير، فربما دخل عمال معاوية أرض ابن الزبير فتغيظ عليه ابن الزبير وكتب له رسالة: يا ابن آكلة الأكباد، إذا وصلتك رسالتي فامنع عمالك عن أرضي وإلا نالك مني سوء، فنادى معاوية ولده يزيد وأعطاه الورقة وقال: ما رأيك؟ فقال: أرى أن ترسل من يأتيك برأسه، فقال معاوية: ألا أدلك على خير من ذلك وأقرب رحمًا؟ ثم كتب في ظهر الورقة: يا ابن حواري رسول الله ﷺ ويا ابن ذات النطاقين، إذا وصلتك رسالتي فاضمم أرضي إلى أرضك وعمالي إلى عمالك ووالله لو كانت الدنيا بيني وبينك لجئتك بها والسلام، فبكى عبد الله بن الزبير حين قرأ رسالة معاوية.

وكذا التابعون!!

وهذا عمر بن عبد العزيز يسبه رجل علانية فيقول له عمر: إن أردت أن يستفزني الشيطان بعز السلطان فأنال منك اليوم ما تناله مني غدًا فلن أفعل وعفا عنه.

وهذا عبد الله بن يزيد المقري يقول سعيد بن مسعود: كنا في المسجد الحرام ننتظر عبد الله بن يزيد المقري فخرجت وبيدي قلم أصلحه، فأخذ في القراءة ووقفتُ أنظر في الكتاب، فانحل السكين من يدي فأصاب رأس الشيخ فانهار الدم، فما زاد على أن رفع رأسه إليَّ وقال: يا بني، إن أردت قتلي فأخرجني من الحرم.

وهذا عبد الله بن المبارك قال محمد بن حميد ونوح بن حبيب: كنا عند عبد الله بن المبارك فالحوا عليه فقال: هاتوا كتبكم حتى اقرأ، فجعلوا يرمون إليه الكتب من قريب ومن بعيد، وكان رجل من أهل الري يسمع كتاب الاستئذان فرمى كتابه فأصاب حرف الكتاب صلعة الشيخ فانشق وسال الدم، فجعل ابن المبارك يعالج الدم حتى سكن، ثم قال: سبحان الله، كاد أن يكون قتالاً ثم بدأ بكتاب الرجل فقرأه.

ما أحوجنا أن نتخلق بهذه الأخلاق، وأن نتصف بهذه الصفات حتى تنصلح القلوب وتجتمع الأمة في سيرها إلى الله بلا عثرات.

والله المستعان.

الفتاوى

أجاب عليها: فضيلة الشيخ ابن عثيمين رحمه الله

سُئل: كيف تتحجب المرأة المحرمة؟ وهل يشترط أن لا يمس الغطاء وجهها؟

أجاب: المرأة المحرمة إذا مرت من عند الرجال، أو مر الرجال من عندها وهم من غير محارمها يجب عليها أن تغطي وجهها كما كانت نساء الصحابة رضي الله عنهم على هذا، وفي هذه الحال لا فدية عليها ؛ لأن هذا أمر مأمور به، والمأمور به لا ينقلب محظورًا.

ولا يشترط أن لا يمس الغطاء وجهها، بل لو مس الغطاء وجهها فلا حرج عليها، فيجب عليها أن تغطي وجهها مادامت عند الرجال، وإذا دخلت الخيمة، أو كانت في بيتها كشفت الوجه؛ لأن المشروع في حق المحرمة أن تكشف وجهها.

سُئل: امرأة حاجة وحاضت قبل طواف الوداع فما الحكم؟

أجاب: الحكم في هذا أن المرأة إذا طافت طواف الإفاضة وأتاها الحيض بعد أن أتمت مناسك الحج ولم يبق عليها إلا طواف الوداع، فإن طواف الوداع يسقط عنها في هذه الحال ؛ لحديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: «أمر الناس أن يكون آخر عهدهم بالبيت، إلا أنه خفف عن الحائض».[أخرجه البخاري (١٧٥٦)، ومسلم (١٣٣٨)].

ولما قيل للنبي ﷺ : إن صفية بنت حيي حاضت وكانت قد طافت رضي الله عنها طواف الإفاضة قال: «فانفروا إذن».[أخرجه البخاري (١٧٥٧)، ومسلم (١٢١١)]. وأسقط عنها طواف الوداع.

أما طواف الإفاضة فإنه لا يسقط بالحيض، فإما أن تبقى المرأة في مكة حتى تطهر وتطوف طواف الإفاضة، وإما أن تذهب إلى بلدها على ما بقي من إحرامها، فإذا طهرت عادت فأتت بطواف وتقصر، ثم تطوف طواف الإفاضة، وإذا كانت لا يمكنها ذلك بأي حال من الأحوال فإنها تضع على محل الحيض ما يمنع نزول الحيض، وتلوث المسجد به، ثم تطوف للضرورة على القول الراجح.

سُئل: امرأة أحرمت بالعمرة ثم حاضت فخرجت من مكة بدون عمرة، فماذا عليها؟

أجاب: إذا أحرمت المرأة بالعمرة وأتاها الحيض فإن إحرامها لا يبطل بل تبقى على إحرامها، وهذه المرأة التي أحرمت بالعمرة وخرجت من مكة، ولم تطف، ولم تسع، لا تزال في عمرتها وعليها أن ترجع إلى مكة، وأن تطوف، وتسعى، وتقصر حتى تحل من إحرامها، ويجب عليها أن تتجنب جميع محظورات الإحرام من الطيب وأخذ الشعر، أو الظفر، وعدم قربها من زوجها إن كانت ذات زوج حتى تقضي عمرتها، اللهم إلا أن تكون قد خافت من مجيء الحيض فاشترطت عند إحرامها، أن محلها حيث حبست، فإنها لا شيء عليها إذا تحللت من إحرامها حينئذ.

سُئل: هل يجوز تقديم السعي على الطواف؟

أجاب: أما بالنسبة لتقديم سعي الحج على طواف الإفاضة فهذا جائز ؛ لأن النبي ﷺ وقف يوم النحر وجعل الناس يسألونه وقيل له سعيت قبل أن أطوف فقال: «لا حرج».[أخرجه البخاري (١٧٣٤)]. فمن كان متمتعًا فقدم السعي في الحج على الطواف، أو مفردًا، أو قارنًا ولم يكن سعي مع طواف القدوم فقدم السعي على الطواف فهذا لا بأس به لقول النبي ﷺ: «لا حرج».

سُئل: إذا سعى المعتمر قبل الطواف ثم طاف فماذا يلزمه؟

أجاب: إذا سعى المعتمر قبل أن يطوف ثم طاف فإنه لا يعيد إلا السعي فقط، وذلك لأن الترتيب بين الطواف والسعي واجب فإن رسول الله ﷺ رتب بينهما وقال: «لتأخذوا عني مناسككم».[أخرجه البخاري (٨٣)، ومسلم (١٣٠٦)].

وإذا أخذنا عنه ﷺ مناسكه بدأنا بالطواف أولاً، ثم بالسعي ثانيًا، ولكن لو قال أنا تعبت في السعي الأول، قلنا إنه يؤجر على تعبه، ولكن لا يقر على الخطأ.

وذهب بعض التابعين وبعض العلماء إلى أنه إذا سعى قبل الطواف من العمرة ناسيًا، أو جاهلاً فلا شيء عليه، كما لو كان ذلك في الحج.

سُئل: ما المراد بالاضطباع؟ ومتى يُشرع؟

أجاب: الاضطباع أن يكشف الإنسان كتفه الأيمن ويجعل طرفي الرداء على الكتف الأيسر.

وهو مشروع في طواف القدوم، وأما في غيره فإنه ليس بمشروع.

سُئل: هل يجوز التطوع بالسعي؟

أجاب: لا يجوز التطوع بالسعي ؛ لأن السعي إنما يشرع في النسك، الحج أو العمرة لقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾[البقرة: ١٤٨].

سُئل: امرأة حجت مع زوجها حج تمتع، وفي الشوط السادس من طواف العمرة قال زوجها: إنه السابع وأصر على رأيه، فهل عليها شيء؟

أجاب: إذا كانت هي تتيقن أنها في الشوط السادس وأنها لم تكمل الطواف فإن عمرتها لم تتم حتى الآن ؛ لأن الطواف ركن من أركان العمرة لا يمكن أن تتم العمرة إلا به، فإذا أحرمت بالحج بعد صارت قارنة ؛ لأنها أدخلت الحج على العمرة قبل انتهائها وإن حصل عندها شك حين رأت زوجها مصممًا على أن هذا هو الشوط السابع فإنه لا شيء عليها ؛ لأنه إذا حصل عندها شك، وعند زوجها اليقين، فإنها ترجع إلى قول زوجها لترجحه، والله أعلم.

سُئل: متمتع لم يجد الهدي فصام ثلاثة أيام في الحج ولم يصم السبعة الباقية، ومضى على ذلك ثلاث سنوات فماذا يفعل؟

أجاب: يلزمه أن يصوم بقية الأيام العشرة وهي سبعة أيام. ونسأل الله له العون.

سُئل: شخص يحلق شعره للعمرة في بلده فما حكم عمرته؟

أجاب: يقول أهل العلم: إن حلق الرأس لا يختص بمكان، فإذا حلق في مكة، أو في غير مكة فلا بأس، لكن الحلق في العمرة يتوقف عليه الحل، وأيضًا سيكون بعد الحلق طواف وداع فالعمرة هكذا ترتيبها إحرام، وطواف، وسعي، وحلق، أو تقصير، وطواف وداع إذا أقام الإنسان بعد أداء العمرة، وأما إذا سافر من حين أن أتى بأفعال العمرة فلا وداع عليه، إذًا معناه لابد أن يحلق رأسه أو يقصره وهو في مكة إذا كان يريد الإقامة ؛ لأنه سيأتي بعده طواف الوداع، أما إذا طاف وسعى وخرج إلى بلده فورًا فإنه لا حرج عليه أن يقصر، أو يحلق في بلده، لكنه سيبقى على إحرامه حتى يقصر أو يحلق.

سُئل: من أحرم متمتعًا ولم يقصر أو يحلق لعمرته وأكمل مناسك الحج ماذا عليه؟

أجاب: هذا الحاج ترك التقصير في عمرته، والتقصير من واجبات العمرة، وفي ترك الواجب عند أهل العلم دم يذبحه الإنسان في مكة ويوزعه على الفقراء، وعلى هذا فنقول لهذا الحاج: يجب عليك على ما قاله أهل العلم أن تذبح فدية بمكة وتوزعها على الفقراء، وبهذا تتم عمرتك وحجك، وإن كان خارج مكة فإنه يوصي من يذبح له الفدية بمكة. والله الموفق.

سُئل: من أحرم بالعمرة متمتعًا ثم بدا له أن لا يحج فهل عليه شيء؟

أجاب: لا شيء عليه، لأن المتمتع إذا أحرم بالعمرة فأتمها ثم بدا له أن لا يحج قبل أن يحرم بالحج فلا شيء عليه، إلا أن ينذر فإذا نذر أن يحج هذا العام وجب عليه الوفاء بنذره، فإن كان بدون نذر فإنه لا حرج عليه إذا ترك الحج بعد أداء العمرة، والله الموفق.

سُئل: قوم ضلوا الطريق إلى مزدلفة فلما أقبلوا عليها توقفوا وصلوا المغرب والعشاء الساعة الواحدة ليلاً ثم دخلوا مزدلفة أذان الفجر وصلوا فيها الفجر فهل عليهم شيء؟ أفتونا جزاكم الله عنا خيرًا.

أجاب: هؤلاء لا شيء عليهم ؛ لأنهم أدركوا صلاة الفجر في مزدلفة حين دخلوها وقت أذان الفجر، وصلوا الفجر فيها بغلس، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «من شهد صلاتنا هذه، ووقف معنا حتى ندفع، وقد وقف قبل ذلك بعرفة ليلاً أو نهارًا فقد تم حجه وقضى تفثه». لكن هؤلاء أخطأوا حين أخروا الصلاة إلى ما بعد منتصف الليل ؛ لأن وقت صلاة العشاء إلى نصف الليل، كما ثبت ذلك في صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ.

سُئل: حاج رمى جمرة العقبة من جهة الشرق ولم يسقط الحجر في الحوض وهو في اليوم الثالث عشر هل يلزمه إعادة الرمي كله؟

أجاب: لا يلزمه إعادة الرمي كله، وإنما يلزمه إعادة الرمي الذي أخطأ فيه فقط، وعلى هذا يعيد رمي جمرة العقبة فقط، ويرميها على الصواب، ولا يجزئه الرمي الذي رماه من جهة الشرق إذا لم يسقط الحصى في الحوض،

الذي هو موضع الرمي، ولهذا لو رماها من الجسر من الناحية الشرقية أجزأ ؛ لأنه يسقط في الحوض.

سُئل: إذا لم تصب جمرة أو جمرتان من الجمار السبع المرمى ومضى يوم أو يومان فهل يعيد رمي هذه الجمرة؟ وإذا لزمه فهل يعيد ما بعدها من الرمي؟

أجاب: إذا بقي عليه رمي رمي جمرة أو جمرتين من الجمرات، أو على الأوضح حصاة أو حصاتين من إحدى الجمرات فإن الفقهاء يقولون إذا كان من آخر جمرة فإنه يكملها أي يكمل هذا النقص فقط، ولا يلزمه رمي ما قبلها، وإن كان من غير آخر جمرة فإنه يكمل الناقص ويرمي ما بعده.

والصواب عندي: أنه يكمل النقص مطلقًا، ولا يلزمه إعادة رمي ما بعدها، وذلك لأن الترتيب يسقط بالجهل، أو بالنسيان، وهذا الرجل قد رمى الثانية وهو لا يعتقد أن عليه شيئًا مما قبلها فهو بين الجهل والنسيان، وحينئذ نقول له: ما نقص من الحصا فارمه، ولا يجب عليك رمي ما بعدها.

سُئل: يقال إنه لا يجوز الرمي بالحصاة التي قد رمي بها، فهل هذا صحيح؟ وما الدليل عليه؟ وجزاكم الله عن المسلمين خيرًا.

أجاب: هذا ليس بصحيح ؛ لأن الذين استدلوا بأنه لا يرمى بحصاة قد رمي بها عللوا ذلك بعلل ثلاث:

١- قالوا: أنها- أي الحصاة- التي رمي بها كالماء المستعمل في طهارة واجبة، والماء المستعمل في الطهارة الواجبة يكون طاهرًا غير مطهر.

٢- أنها كالعبد إذا أعتق، فإنه لا يعتق بعد ذلك في كفارة، أو غيرها.

٣- أنه يلزم من القول بالجواز أن يرمي جمع الحجيج بحجر واحد، فترمي أنت هذا الحجر، ثم تأخذه وترمي، ثم تأخذه وترمي حتى تكمل السبع، ثم يجيء الثاني فيأخذه فيرمي حتى يكمل السبع. فهذه ثلاث علل وكلها عند التأمل عليلة جدًا.

أما التعليل الأول: فإننا نقول بمنع الحكم في الأصل، وهو أن الماء المستعمل في طهارة واجبة يكون طاهرًا غير مطهر ؛ لأنه لا دليل على ذلك، ولا يمكن نقل الماء عن وصفه الأصلي وهو الطهورية إلا بدليل، وعلى هذا فالماء المستعمل في طهارة واجبة طهور مطهر، فإذا انتفى حكم الأصل المقيس عليه انتفى حكم الفرع.

وأما التعليل الثاني وهو قياس الحصاة المرمي بها على العبد المعتق، فهو قياس مع الفارق، فإن العبد إذا أعتق كان حرًا لا عبدًا فلم يكن محلاً للعتق، بخلاف الحجر إذا رمى به فإنه يبقى حجرًا بعد الرمي به، فلم ينتف المعنى الذي كان من أجله صالحًا للرمي به، ولهذا لو أن هذا العبد الذي أعتق استرق مرة أخرى بسبب شرعي جاز أن يعتق مرة ثانية.

وأما التعليل الثالث: وهو أن يلزم من ذلك أن يقتصر الحجاج على حصاة واحدة فنقول: إن أمكن ذلك فليكن، ولكن هذا غير ممكن، ولن يعدل إليه أحد مع توفر الحصا.

وبناءً على ذلك فإنه إذا سقطت من يدك حصاة أو أكثر حول الجمرات فخذ بدلها مما عندك، وارم به سواء غلب على ظنك أنه قد رمي بها أم لا.

«أصول السنة» للإمام أحمد بن حنبل

اسم المؤلف: هو إمـــام أهل السنة أبو عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني صاحب المذهب المعروف.

مولده: ولد سنة ١٦٤هـ ببغداد، رحل في طلب العلم إلى الكوفة والبصرة ومكة والمدينة والشام، وأخذ العلم عن عدد ليس بالقليل من العلماء الأئمة منهم سفيان بن عيينة، ويحيى القطان، والشافعي، وغيرهم كثير.

وقد روى عنه البخاري ومسلم وأبو داود، وكان رحمه الله من أوعية السنة وحفاظها، متمسك بقول السلف وتحمل الأذى في سبيله.

قال عنه قتيبة بن سعيد: «أحمد إمام الدنيا». وقال عنه إسحاق: «أحمد حجة بين الله وخلقه».

وفاته: توفي رحمه الله تعالى سنة ٢٤١هـ.

موضوع الكتاب

بيان الأصول السلفية التي تميز أهل السنة عن سواهم من الفرق المنسوبة للأمة المحمدية.

أهمية الكتاب

هذا الكتاب يقرر الضوابط العامة والقواعد الأساسية التي تضبط مذهب السلف من خلال عقائده الأساسية التي يفارقون فيها أهل البدع.

منهج المؤلف في الكتاب

-بساطة اللغة التي كتب بها الكتاب.

-تبيّنه الأساس الذي اعتمده في منهجه وهو الكتاب والسنة وإجماع السلف.

-اختصار عبارته ومقاصده بحيث كان كتابًا جامعًا مانعًا.

أهم مباحث الكتاب

بدأ الإمام أحمد كتابه بقوله: أصول السنة عندنا، وأخذ يسرد هذه الأصول، ومنها قوله: «التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ، والاقتداء بهم، وترك البدع، وكل بدعة فهي ضلالة، وترك الخصومات في الدين.

والسنة عندنا آثار رسول الله ﷺ. والسنة تفسر القرآن، وهي دلائل القرآن، وليس في السنة قياس، ولا تضرب لها الأمثال، ولا تدرك بالعقول ولا الأهواء، إنما هو الاتباع وترك الهوى. ومن السنة اللازمة التي من ترك منها خصلةً فلم يقبلها ويؤمن بها لم يكن من أهلها».

وقال في الإيمان بالقدر: «الإيمان بالقدر خيره وشره، والتصديق بالأحاديث فيه، والإيمان بها، لا يقال: لِمَ، ولا كيف، إنما هو التصديق والإيمان، ومن لم يعرف تفسير الحديث ولم يبلغه عقله فقد كُفي ذلك، فعليه الإيمان به والتسليم».

وقال في الميزان والحوض وعذاب القبر: «والإيمان بالميزان يوم القيامة كما جاء، يوزن العبد يوم القيامة فلا يزن جناح بعوضة، وتوزن أعمال العباد كما جاء في الأثر، والإيمان به، والتصديق به، ووجوب الإعراض عمن ردّ ذلك، وترك مجادلته.

وأن الله تعالى يكلم العباد يوم القيامة، ليس بينهم وبينه ترجمان.

والإيمان بالحوض، وأن لرسول الله ﷺ حوضًا يوم القيامة ترد عليه أمته، عرضه مثل طوله، مسيرة شهر، آنيته كعدد نجوم السماء

على ما صحت به الأخبار من غير وجه.

والإيمان بعذاب القبر، وأن هذه الأمة تفتن في قبورها، وتُسأل عن الإيمان والإسلام، ومَنْ ربه؟ ومَنْ نبيه؟ ويأتيه منكر ونكير، كيف شاء الله، وكيف أراد، والإيمان به، والتصديق به».

وقال في الشفاعة: «والإيمان بشفاعة النبي ﷺ، وبقوم يخرجون من النار بعدما احترقوا وصاروا فحمًا، فيؤمر بهم إلى نهر على باب الجنة كما جاء في الأثر، كيف شاء ربنا، وكما شاء، إنما هو الإيمان به، والتصديق به».

وقال في مسيح الضلالة ومسيح الهدى: والإيمان أن المسيح الدجال خارج، مكتوب بين عينيه كافر، والأحاديث التي جاءت فيه، والإيمان بأن ذلك كائن، وأن عيسى ابن مريم ينزل فيقتله بباب لُد.

وفي الإيمان قال: «الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، كما جاء في الخبر: أكملُ المؤمنينَ إيمانًا أحسنهم خلقًا».

وقال في أفضل هذه الأمة بعد نبيها ﷺ: «وخير هذه الأمة بعد نبيها: أبو بكر الصديق، ثم عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان، يقدّم هؤلاء الثلاثة كما قدمهم أصحاب رسول الله ﷺ، لم يختلفوا في ذلك، ثم بعد هؤلاء الثلاثة أصحاب الشورى الخمسة: علي بن أبي طالب، والزبير، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد، كلهم للخلافة، وكلهم إمام».

وعن الأئمة والحكام قال: «والسمع والطاعة للأئمة وأمير المؤمنين البرّ والفاجر، ومن ولي الخلافة، واجتمع الناس عليه، ورضوا به، ومن عليهم بالسيف حتى صار خليفة، وسمي أمير المؤمنين. والغزو ماضٍ مع الأمير إلى يوم القيامة البَرّ والفاجر لا يُتْرَك».

وقال أيضًا: «وصلاة الجمعة خلفه وخلف من ولاه جائزة تامة، ركعتين، من أعادهما فهو مبتدع، تارك للآثار، مخالفٌ للسنة، ليس له من فضل الجمعة شيء إذا لم ير الصلاة خلف الأئمة من كانوا برهم وفاجر، فالسنة: أن يصلي معهم ركعتين، ويدين بأنها تامة، لا يكن في صدرك من ذلك شك».

وقال في الخروج عن الأئمة والحكام: «ومن خرج على إمام من أئمة المسلمين، وقد كانوا اجتمعوا عليه وأقروا له بالخلافة، بأي وجه كان، بالرضا أو بالغلبة، فقد شقّ هذا الخارج عصا المسلمين، وخالف الآثار عن رسول الله ﷺ، فإن مات الخارج عليه مات ميتة جاهلية».

«ولا يحل قتال السلطان، ولا الخروج عليه لأحد من الناس، فمن فعل ذلك فهو مبتدع على غير السنة والطريق».

قوله في الحدود!!

وقال في الرجم: «الرجم حق على من زنى وقد أُحصن، إذا اعترف أو قامت عليه بينة، فقد رَجَمَ رسول الله ﷺ والأئمة الراشدون».

وقال في الصحابة: ومن انتقص أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ أو بغضه لحدثٍ منه، أو ذكر مساوئه، كان مبتدعًا، حتى يترحم عليهم جميعًا، ويكون قلبه سليمًا.

وختم كتابه بالصلاة على من مات موحدًا من أهل القبلة فقال: «ومن مات من أهل القبلة موحدًا يُصلى عليه ويستغفر له، ولا يحجب عنه الاستغفار، ولا تُترك الصلاة عليه لذنب أذنبه صغيرًا كان أو كبيرًا، أمره إلى الله تعالى».

والحمد لله وحده، وصلواته على محمد وآله وسلم تسليمًا.

الأخلاق في الإسلام
« الحرص بين المنفعة والمضرة »

يقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[التوبة: ١٢٨].

وفي تفسير ابن كثير: ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾ قال: أن تدخلوا الجنة، وقيل: ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾ أن تؤمنوا.

وقال الفراء: شحيح بأن تدخلوا النار، والحرص على الشيء: الشح عليه أن يضيع أو يتلف.

الحرص النافع

وروى الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير، احرص على ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان».

وقال النووي في الشرح: ومعناه: احرص على طاعة الله تعالى والرغبة فيما عنده، واطلب الإعانة من الله تعالى على ذلك ولا تعجز ولا تكسل عن طلب الطاعة، ولا عن طلب الإعانة.

الحرص الضار!!

كتبه: محمد عاطف التاجوري

روى الترمذي في سننه عن كعب بن مالك الأنصاري قال: قال رسول الله ﷺ: «ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه». وقال: حسن صحيح.

قال المباركفوري في الشرح: والمعنى إن حرص المرء عليهما أكثر فسادًا لدينه المشبه بالغنم لضعفه بجنب حرصه عن إفساد الذئبين للغنم.

ثم قال أيضًا: ومعناه ليس ذئبان جائعان أرسلا في جماعة من جنس الغنم بأشد إفسادًا لتلك الغنم من حرص المرء على المال والجاه، فإن إفساده لدين المرء أشد من إفساد الذئبين الجائعين لجماعة من الغنم أرسلا فيها، أما المال فإفساده أنه نوع من القدرة يحرك داعية الشهوات ويحبب إلى التنعم في المباحات فيصير التنعم مألوفًا، وربما يشتد أنسه بالمال ويعجز عن كسب الحلال فيقتحم في الشبهات مع أنها ملهية عن ذكر الله تعالى، وهذه لا ينفك عنها أحد.

وأما الجاه فكفى به إفسادًا أن المال يبذل للجاه ولا يبذل الجاه للمال وهو الشرك الخفي، فيخوض في المماراة والمداهنة والنفاق وسائر الأخلاق الذميمة،

فهو أفسد وأفسد.

صلة الشح بالحرص !!

جاء في «موسوعة نضرة النعيم» في خلق الشح: الشح لغة منع مع حرص. وقال الراغب: الشح بخل مع حرص، وذلك فيما يكون عادة.

وقال ابن منظور: الشح حرص النفس على ما ملكت وبخلها به.

وما جاء في التنزيل من الشح فهذا معناه، وقول الله تعالى: ﴿ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ ﴾[النساء: ١٢٨]. قال القرطبي: الشح هنا هو شح المرأة بالنفقة من مال زوجها وبقسمه لها أموالها.

وقال ابن زيد: الشح هنا منه ومنها إذ الغالب على المرأة الشح بنفسها من زوجها والغالب على الزوج الشح بنصيبه من الشابة.

وقال في الفرق بين الشح والبخل: قال ابن القيم رحمه الله تعالى: الفرق بين الشح والبخل أن الشح هو شدة الحرص على الشيء والإحفاء في طلبه والاستقصاء في تحصيله وجشع النفس عليه، والبخل منع انفاقه بعد حصوله وحبه وإمساكه، فهو شحيح قبل حصوله، بخيل بعد حصوله، فالبخل ثمرة الشح، والشح يدعو إلى البخل، والشح كامن في النفس، فمن بخل فقد أطاع شحه، ومن لم يبخل فقد عصى شحه ووقي شره، وذلك هو المفلح. قال الله تعالى: ﴿ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [الحشر: ٩].

وقال في حكم الشح: عن ابن حجر شح الدائن على مدينه المعسر مع علمه بإعساره بالملازمة أو الحبس من الكبائر، بدليل أن النبي ﷺ خرج إلى المسجد وهو يقول هكذا، وأومأ أبو عبد الرحمن بيده إلى الأرض: «من أنظر معسرًا أو وضع عنه- أي حط عنه دينه أو بعضه بالبراءة منه- وقاه الله من فيح جهنم».

وبقوله أيضًا: «من نفس عن مسلم كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر في الدنيا يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر على مسلم في الدنيا ستر الله عليه في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه».

وما ذكره من أن فعل الدائن بمدينه كبيرة ظاهر جدًا وإن لم يصرحوا به، إلا أنه داخل في إيذاء المسلم الشديد الذي لا يطاق عادة، ومفهوم الحديثين الأولين: أن من لم ينظر مدينه المعسر لا يوقى فيح جهنم، وذلك وعيد شديد، وبه يتأكد عند ذلك كبيرة، ثم قال: ولم يذكر الذهبي من الكبائر الشح وهو الظاهر والله أعلم.

وقال الشيخ جمال الدين القاسمي رحمه الله تعالى في كتاب «موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين» في باب ذم الحرص والطمع ومدح القناعة والاقتصاد: ينبغي للفقير أن يكون قانعًا منقطع الطمع عن الخلق، غير ملتفت إلى ما في أيديهم ولا حريصًا على اكتساب المال كيف كان، لئلا يتدنس ببذل الحرص فيجره إلى مساوئ الأخلاق وارتكاب المنكرات، وقد جبل الآدمي على الحرص والطمع وقلة القناعة، قال رسول الله ﷺ: «لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى لهما

ثالثًا».

البخل والشح !!

وفي موسوعة «نضر النعيم» في خلق البخل: قال الجرجاني في التعريفات: البخل هو المنع من مال نفسه، والشح هو بخل الرجل من مال غيره، وقيل: البخل ترك الإيثار عند الحاجة. ولا سيما إذا كان من غير مال المسئول.

وقال القرطبي: اختلف في البخل والشح هل هما بمعنى واحد أو معنيين؟ فقيل: البخل الامتناع عن إخراج ما حصل عندك، والشح: الحرص على تحصيل ما ليس عندك، وقيل: الشح هو البخل مع حرص، وهو الصحيح لما روي عنه ﷺ من قوله: «اتقوا الشح، فإن الشح أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم».

وقال في أنواع البخل: قال الراغب: البخل ضربان: أحدهما: بخل الإنسان بقنيات نفسه- أي مقتنياته- والآخر: بخل بقنيات غيره، وهو أكثرهما ذمًا، بدليل قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ ﴾[النساء: ٣٧].

وقال تحت عنوان البخل أصل لكل خلق مذموم: وقال ابن تيمية رحمه الله تعالى: إن الجميع يتمادحون بالشجاعة والكرم، حتى إن ذلك عامة ما تمدح به الشعراء من وحيهم في شعرهم، وكذلك يتذامون بالبخل والجبن. ثم قال: ولما كان صلاح بني آدم لا يتم في دينهم ودنياهم إلا بالشجاعة والكرم، بيّن الله سبحانه أنه من تولى عنه بترك الجهاد بنفسه أبدل الله به من يقوم بذلك، ومن تولى عنه بترك إنفاق ماله أبدل الله به من يقوم بذلك، فقال عز وجل: ﴿ هَأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لاَ يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ ﴾[محمد: ٣٨].

والآن أنضع الحرص في الصفات المستحبة، أم في الصفات المذمومة؟

لا شك أننا إذا قرأنا الآية الأولى وهي قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ ﴾ نجد أن الرسول ﷺ يتصف بالحرص على المؤمنين أي الحرص على ما ينفعهم.

وكذلك الحديث الأول وفيه قوله ﷺ: «احرص على ما ينفعك»، وفيه أمر بالحرص على ما ينفع. فالحرص على ما ينفع بحق هو خلق مستحب.

أما إذا جئنا إلى آية سورة البقرة: ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ ﴾ فحرصهم على حياة بهذه الصورة أمر مزموم، ولا شك أنهم يحرصون عليها هروبًا من العذاب الذي أعده الله لهم يوم القيامة.

وكذلك حديث الترمذي، فإن حرص المرء على المال والشرف والذي يؤدي إلى التفريط في الدين وفي حدوده وتشريعاته، ويؤدي إلى إضعاف دينه بسبب حرصه على المال والشرف كضعف الغنم بسبب الذئبين الضاريين، لهو أمر مذموم أيضًا، وإذا وصل الحرص إلى الشح الذي يؤدي إلى البخل فهذا هو الهلاك الذي حذر منه رسول اللَّه ﷺ في الحديث الصحيح الذي رواه الإمام مسلم رحمه الله تعالى عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول اللَّه ﷺ قال: «اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم».

نسأل الله تعالى أن ينفعنا بالحرص النافع، وأن يجنبنا الحرص المذموم.

تحذير الداعية من القصص الواهية

«الحلقة التاسعة والعشرون»

بقلم/ علي حشيش

قصة حج الرفاعي وتقبيل يد النبي ﷺ

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم، حتى يقف على حقيقة هذه القصة التي اشتهرت وانتشرت على ألسنة المتصوفة وفي كتبهم وقلدهم الدعاة الذين لا دراية لهم بالأصول فكثر الابتداع، فقد كتب بعضهم في ترجمة حياة أحمد الرفاعي نقلا عن أبي الهدى الصيادي قال:

«فإنه - يعني أحمد الرفاعي - لما حجَ ووقف تجاه قبر جناب جده الأعظم ﷺ قال السلام عليك يا جدي، فقال له الحبيب الكريم وعليك السلام يا ولدي فهام لذلك وتواجد وأنشد:

في حالة البعد روحي كنت أرسلها
تقبل الأرض عني فهي نائبتي
وهذه دولة الأشباح قد حضرت
فامدد يمينك كي تحظى بها شفتي

فمدت له يد جده الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم فقبلها والألوف من الناس ينظرون، والقصة متواترة لا تقبل الدفاع» أهـ.

التحقيق

١ - هذه القصة علامات الوضع ظاهرة عليها شاهدة ببطلانها كما في تنبيهات الإمام ابن القيم في «المنار المنيف» رقم (٤)، (١٢) كما سأبين في الرد - إن شاء الله -.

٢ - قلت: ولذلك جاء في فتاوى «اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء» (١٧١/٣) فتوى رقم (٦٩١١) ما نصه:

«الأصل في الميت نبيا أو غيره أنه لا يتحرك في قبره بمد يد أو غيرها فما قيل من أن النبي ﷺ أخرج يده لبعض من سلم عليه غير صحيح بل هو وهم وخيال لا أساس له من الصحة» أهـ.

٣ - ولقد كذَّب العلامة محمود شكري الألوسي تلك القصة في «غاية الأماني في الرد على النبهاني» (٢٢٢/١ - ٢٢٤) حيث قال:

«إنه قد ترجم لأحمد الرفاعي هذا جماعة من المؤرخين على اختلافهم في المذهب ولم يذكرو هذه القصة في ترجمته، وقال أيضا مع أن هذه القصة لو صحت لتوفرت الدواعي على نقلها؛ لأنها حادث عظيم وخارق عجيب فالشيء الذي تتوفر الدواعي على نقله، ولم يذكره أحد من الثقات، بل ذكره الدجالون الضالون المضلون فهو لا شك تزوير وبهتان وكذب من إفك الشيطان» أهـ.

«فائدة جليلة»
حول مسألة دعوى التواتر

قلت: وما ذكره هذا الذي ترجم حياة الرفاعي: «من أن القصة متواترة لا تقبل الدفاع» دعوى باطلة يردها ما أورده الألوسي ردًا على النبهاني والذي ذكرناه آنفا إنهم يريدون أن تشيع هذه القصة الواهية ـ ليتخذوا منها دليلا على بدعتهم أن الرسول ﷺ يخرج من قبره ليحضر ما يسمى عند المتصوفة «الحضرة».

ويريد أهل الباطل أن يروجوا لهذه القصة الواهية حتى يعتقد الناس عقيدة فاسدة في خروج الرسول من قبره وخروج يده ليسلم على خاصة المتصوفة.

وإن تعجب فعجب قولهم: «إن هذه القصة متواترة لا تقبل الدفاع».

قلت: إن القصة واهية وإن دعوى التواتر باطلة.

أ ـ حيث إن الكتب المشهورة المتداولة بأيدي أهل العلم شرقا وغربا المقطوع عندهم بصحة نسبتها إلى مصنفيها لا توجد بها هذه القصة ولا مثلها.

فلم يثبت عن الخلفاء الأربعة أو العشرة المبشرين بالجنة، أو أصحاب بدر أو أصحاب بيعة الرضوان أو عامة الصحابة رضي الله عنهم أن أحدهم انشقت له الأرض وخرجت له يد رسول الله ﷺ من القبر ليقبلها بشفتيه.. هل الرفاعي أفضل من هؤلاء جميعا؟ ما لكم كيف تحكمون؟

وأخرج البخاري ح(٢٦٥٢)، (٣٦٥١)، (٦٤٢٩)، (٦٦٥٨)، ومسلم ح(٢٥٣٣) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجئ أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته».

قلت: هؤلاء هم خير الناس كما بينت السنة الصحيحة المطهرة ولم تنشق الأرض لأحد منهم وخرجت له يد الرسول ﷺ من قبره.

فأين الرفاعي من هؤلاء؟ أين هو من الصحابة؟ أين هو من التابعين؟

بل أين هو من اتباع التابعين؟ بل أين مكانه ومكانته وزمانه من الأحاديث التي وردت في أعلى درجات الصحة؟

ب ـ إن هذه القصة تناقلها الرفاعية ولهم من الكذب الكثير الذي يوهمون به الناس أنهم أصحاب كرامات ، لكنه الدجل والضلال؛ من أكل الحيات الحية ودخولهم النار وغير ذلك من الأمور العظيمة الباطلة شرعا وعقلا ولشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله مناظرة علنية لدجاجلة الرفاعية لإبطال حيلهم وبدعهم وكذبهم كما في «مجموعة الرسائل والمسائل» (١/١٤٤ ـ ١٥٥).

والتواطؤ على الكذب الذي به تهدم دعوى التواتر لهذه القصة ظاهر من قول العلامة الألوسي: «الشيء الذي تتوفر الدواعي على نقله، ولم يذكره أحد من الثقات، بل ذكره الدجالون الضالون المضلون فهو لا شك تزوير وبهتان وكذب من إفك الشيطان» أهـ.

مسألة الألوف التي شاهدت خروج يد النبي ﷺ من قبره

٤ ـ قلت: أما عن قوله: «فمدت له يد جده الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم فقبلها والألوف من الناس ينظرون» أهـ.

فهو كذب وبهتان حيث قال الألوسي في «غاية الأماني في الرد على النبهاني» (١/٢٢٢ ـ ٢٢٤):

إن الدجالين الذين رووا هذه القصة المكذوبة ادعوا أن من كان حاضرا هناك، ورأوا اليد، وسمعوا رد السلام نحو مائة ألف أو يزيدون. سبحانك ربي هذا بهتان عظيم، كيف يمكن أن يكون هناك هذا العدد الكثير؟ وأي محل في المسجد يسعهم أو يسع عشر معشارهم؟ إن القبر قد أحاطت به الجدران، فمن أي شباك خرجت اليد؟

ومن المعلوم إذا كان أمر عجيب وشيء غريب، يتهافت على رؤيته الراؤون، فلا يمكن الرؤيا إلا للقريب، وكذلك سماع رد السلام كيف أمكن للجميع» أهـ.

مسألة هيام وتواجد الرفاعي عندما سمع صوت النبي ﷺ من قبره

٥ ـ قلت: أمَّا عن قوله: «لما حج: ـ الرفاعي ـ ووقف تجاه قبر جده الأعظم ﷺ قال : السلام عليك يا جدي فقال له الحبيب الكريم وعليك السلام يا ولدي فهام لذلك وتواجد وأنشد... ثم ذكر عن الرفاعي الأبيات التي أوردناها آنفا في القصة» أهـ.

فهو من الكذب والبهتان حيث قال الألوسي في

«غاية الأماني في الرد على النبهاني» (١/ ٢٢٢ - ٢٢٤):

«إن كثيرا من أهل العلم والأدب نسب البيتين إلى غير أحمد الرفاعي قال الشيخ صلاح الدين الصفدي في «تذكرته»:

حُكي أن ابن الفارض لما اجتمع بالشهاب السهروردي في مكة أنشده:

في حالة البعد روحي كنت أرسلها
تقبل الأرض عني فهي نائبتي
وهذه دولة الأشباح قد حضرت
فامدد يمينك كي تحظى بها شفتي

وكفى ما ذكره الشيخ صلاح الدين شاهدا على بطلان ما ادعاه غلاة الرفاعية ومبتدعتهم» اهـ.

الاستنتاج

نستنتج مما أوردناه أن القصة واهية، لذلك قال الألوسي في «الرد على النبهاني»: «فانظر إلى هذه الأكذوبة التي لا تروج على ضعفاء العقول، ومع ذلك قد تمسك بها قوم سلب الله منهم الحياء واتخذوها حبالة من حبائل مصائدهم، وأغراهم الله على مثل هذه الدعاوي الكاذبة ليفضحهم بها في الدنيا والآخرة، انتقاما لأهل الحق منهم» اهـ.

قلت: بهذا يتبين تواطؤ دجاجلة البطائحية الرفاعية على الكذب لينشروا هذه الفرية بين الناس فرية إنشقاق الأرض عن يد النبي ﷺ وخروجها من قبره ليقبلها الرفاعي ويتخذوا من هذه الفرية دليلا على خروج رسول الله ﷺ من قبره وأنهم يرونه يقظة كما رأوا يده.

مسألة رؤية النبي ﷺ يقظة

لقد ورد في السؤال السادس من الفتوى ذات الرقم (٣٥٤٤) فتاوى «اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والافتاء» (١٨٨/٢):

هل صحيح أن النبي ﷺ يمكن أن يُرى في اليقظة كما يزعم الصوفية في أنهم يرونه يقظة؟

الإجابة: «وأما دعوى أن رسول الله ﷺ يُرى يقظة فهذا ليس بصحيح لعدم الدليل الدال عليه ولأنه ثبت عنه ﷺ «أنه أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة».

فدل ذلك على أنه لا يخرج من قبره قبل يوم القيامة، ويدل على ذلك في حقه وحق غيره: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾ [الزمر:٣٠] وقوله عز وجل: ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ (١٥) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴾ [المؤمنون:١٥، ١٦].

فدل على أنه ليس هناك خروج من القبور قبل يوم القيامة» اهـ.

«الصحيح الذي عليه أهل السنة»

أخرج مسلم في «صحيحه» ح(٢٤٩) كتاب الطهارة ح(٣٩) - باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل - إخوانه ﷺ وأصحابه، والنسائي في «الكبرى» ح(٢/١٤٣)، والصغرى (٩٣/١) وابن ماجه ح(٤٣٠٦) من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ أتى المقبرة فقال: «السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، وددت أنَّا قد رأينا إخواننا»، قالوا: أولسنا إخوانك يا رسول الله؟ قال: «أنتم أصحابي وإخواننُا الذين لم يأتوا بعد»، فقالوا كيف تعرف من لم يأت بعد من أمتك يا رسول الله؟ فقال: «أرأيت لو أن رجلا له خيل غرٌّ محجلة بين ظهريْ خيل دُهم بُهم ألا يعرف خيله»؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «فإنهم يأتون غرًا محجلين من الوضوء، وأنا فَرَطهم على الحوض، ألا ليُذَادَنَّ رجالٌ عن حوضي كما يذاد البعير الضال أناديهم ألا هلم فيقال: إنهم قد بدلوا بعدك، فأقول: سحقا سحقا» واللفظ لمسلم.

وأخرج أحمد (١٥٥/٣) ح(١٢٦٠١) من حديث أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ: «وددت أني لقيت إخواني قال: فقال أصحاب النبي ﷺ: أوليس نحن إخوانك قال: أنتم أصحابي ولكن إخواني الذين آمنوا بي ولم يروني».

قلت: من هذا الحديث يتبين أن القصة واهية بل ومنكرة حيث فيها أن الأرض انشقت عن يد رسول الله ﷺ وخرجت من القبر وقبلها أحمد الرفاعي.

وهل تخرج يد النبي ﷺ (سنة٥٥٥) هجرية للرفاعي والرسول يقول: «وددت أني لقيت إخواني». ويقول ﷺ: «إخواني الذين آمنوا بي ولم يروني»؟.

المترجم لحياة الرفاعي يربط بين الحج وزيارة قبر النبي ﷺ.

حيث قال: «فإنه لمَّا حج ووقف تجاه قبر جناب جده الأعظم ﷺ...» اهـ.

قلت: الصوفية دائما يربطون بين الحج وزيارة قبور الأنبياء والصالحين ولذلك قال الإمام ابن عبد الهادي في «الصارم» (ص٨٣):

«السفر إلى زيارة قبور الأنبياء والصالحين كما يفعل أهل البدع ويجعلون ذلك حجا وأفضل من الحج أو قريبا من الحج حتى روى بعضهم حديثا ذكره بعض المصنفين في زماننا في فضل من زار الخليل قال فيه: وقال وهب بن منبه: «إذا كان آخر الزمان حيل بين الناس وبين الحج فمن لم يحج، ولحق بقبر إبراهيم فإن زيارته تعدل حجة» وهذا كذب على وهب بن منبه.

كما أن قوله: «من زارني وزار أبي في عام واحد ضمنت له على الله الجنة» كذب على رسول الله ﷺ وقد ذكر بعض أهل العلم أن هذا الحديث إنما افتراه الكذابون لما فتح بيت المقدس واستنقذ من أيدي النصارى على عهد صلاح الدين سنة بضع وثمانين وخمسمائة، فإن النصارى نقبوا قبر الخليل، وصار الناس يتمكنون من الدخول إلى الحفرة، وأما على عهد الصحابة والتابعين ووهب بن منبه وغيره فلم يكن هذا ممكنا، ولا عرف عن أحد من الصحابة والتابعين أنه سافر إلى قبر الخليل عليه السلام، ولا إلى قبر غيره من الأنبياء، ولا من أهل البيت ولا من المشايخ ولا غيرهم.

ووهب بن منبه كان باليمن لم يكن بالشام ولكن كان من المحدثين عن بني إسرائيل والأنبياء المتقدمين مثل كعب الأحبار ومحمد بن إسحق ونحوهما.

وقد ذكر العلماء ما ذكره وهب في قصة الخليل وليس فيه شيء من هذا ولكن أهل الضلال افتروا آثارا مكذوبة على الرسول وعلى الصحابة والتابعين توافق بدعهم، وقد رووا عن أهل البيت وغيرهم من الأكاذيب ما لا يتسع هذا الموضع لذكره، وغرض أولئك الحج إلى قبر علي، أو الحسين...» اهـ.

أحاديث غير صحيحة تربط الحج بزيارة قبر النبي ﷺ

حديث «من حج ولم يزرني فقد جفاني».

قلت: هذا حديث «ليس صحيحا».

أورده الذهبي في «الميزان» (٤/٢٦٥/٩٠٩٥) وقال: «هذا موضوع».

قلت: وعلته؛ النعمان بن شبل الباهلي قال حدثني مالك عن نافع ابن عمر مرفوعا فذكره.

قلت: والعجب من قول النعمان حدثني مالك عن نافع عن ابن عمر، وقد نقل الإمام ابن كثير في «اختصار علوم الحديث» (ص١٨) عن البخاري: «أصح الأسانيد: مالك عن نافع عن ابن عمر» قلت: انظر كيف سولت للنعمان بن شبل نفسه أن يضع سندا من أصح الأسانيد لحديث موضوع ولذلك قال موسى بن هارون كان متهما.

قلت: وأخرج هذا الحديث ابن حبان في «المجروحين» (٣/٧٣) من طريق مالك عن نافع عن ابن عمر وقال: «النعمان بن شبل يأتي عن الثقات بالطامّات وعن الأثبات بالمقلوبات» اهـ.

قرينة تدل على وضعه

قال الألباني رحمه الله في «الضعيفة» (١/٦١) ح(٤٥):

ومما يدل على وضعه أن جفاء النبي ﷺ من الذنوب الكبائر إن لم يكن كفرا وعليه فمن ترك زيارته ﷺ يكون مرتكبا لذنب كبير وذلك يستلزم أن الزيارة واجبة كالحج وهذا مما لا يقوله مسلم، ذلك لأن زيارته ﷺ وإن كانت من القربات فإنها لا تتجاوز عند العلماء حدود المستحبات - فكيف يكون تاركها مجافيا للنبي ﷺ ومعرضا عنه؟» اهـ.

زيارة المسجد النبوي في المدينة المنورة

والسنة قصد المسجد لقوله ﷺ: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد...» الحديث.

فإذا وصل إليه وصلى التحية أو صلاة الفريضة إن كانت قد أقيمت زار قبره ﷺ.

وهنا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في «الفتاوى» (٢٧/٣٠):

«فإن زيارة القبور على وجهين: وجه شرعي، ووجه بدعي:

فالزيارة الشرعية: مقصودها السلام على الميت والدعاء له سواء كان نبيا أو غير نبي ولهذا كان الصحابة إذا زاروا النبي ﷺ يسلمون عليه ويدعون له، ثم ينصرفون، ولم يكن أحد منهم يقف عند قبره ليدعو لنفسه ولهذا كره مالك وغيره ذلك وقالوا: إنه من البدع المحدثة ولهذا اتفق السلف على أنه لا يستلم قبرا من قبور الأنبياء وغيرهم ولا يتمسح به ولا يستحب الصلاة عنده ولا قصده للدعاء عنده أو به... وهذه الأمور ونحوها هي من «الزيارة البدعية» اهـ.

هذا ما وفقني الله إليه وهو وحده من وراء القصد.

واجب العبودية

معاوية محمد هيكل

إقامة واجب العبودية، هي الغاية من خلق الخلق، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦]، وهذا النوع من التوحيد هو أعظم أصول الدين، ولأجله أرسل الله الرسل وأنزل الكتب كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل:٣٦].

وجميع الرسل أرسلوا لتحقيق إخلاص العبودية لله سبحانه وحده لا شريك له، فلا يعبد إلا الله وحده ولا يدعى إلا هو.

قال تعالى: ﴿فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [المؤمنون:٢٣]، وهذه هي دعوة هود وصالح وشعيب وإبراهيم.. وقال تعالى مخاطبًا نبيه ﷺ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٢٥]، وكان أول أمر يتوجه إليه ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنْذِرْ (٢) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ [المدثر:١-٣]، وربك فكبر أي عظم ربك بالتوحيد وإخلاص العبادة له وحده لا شريك له، وهذا قبل الأمر بالصلاة والزكاة والصوم والحج، ومعنى قم فأنذر، أي أنذر عن الشرك في عبادة الله وحده، وهذا قبل الإنذار عن الزنا والسرقة والربا وغير ذلك من المحرمات.

العبودية تشريف وتكريم

وصف النبي ﷺ في أشرف مقاماته بالعبودية:

قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ [الإسراء:١] وفي مقام الدعوة ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ [الجن:١٩]، وفي مقام الرد على من ادعى نبوة عيسى ﴿إِنْ هُوَ إِلاَّ عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلاً لِبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الزخرف:٥٩]، وقال: ﴿وقالوا اتخذ الرحمن ولدًا سبحانه بل عباد مكرمون﴾، ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا (٨٨) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا (٨٩) تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا (٩٠) أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا (٩١) وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا (٩٢) إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا (٩٣) لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا (٩٤) وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾ [مريم:٨٨-٩٥]. ووصف الملائكة بأنهم: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ لاَ يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنبياء :٢٦-٢٧]، وأمر الخلق بالعبادة حتى الممات فقال: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر:٩٩]، أي حتى يدركك الموت لا تنفك عن طاعة الله ولا عن عبادته سبحانه، وكان النبي ﷺ يقول: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله» ولما خير ﷺ بين أن يكون نبيًا ملكًا وبين أن يكون عبدًا رسولا تواضع لجناب الله، واختار أن يكون عبدا رسولا، يأكل أكلة العبد ويجلس جلسة العبد وينام

نومة العبد، وهذا هو أشرف وأرفع المقامات.

تصحيح مفهوم العبادة

العبادة في اللغة هي التذلل والخضوع. يقولون: طريق معبد أي مذلل ممهد.

وفي الشرع: هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة. من الدعاء والخوف والرجاء والتوكل والرغبة والرهبة والخشوع والخشية والاستعانة والاستغاثة والذبح والنذر إلي غير ذلك من أنواع العبادة، وصرف شيء من هذا لغير الله شرك بالله، مناف لكلمة التوحيد: لا إله إلا الله التي أرسل لأجلها تعالى رسله، وأنزل كتبه، وشرع شرائعه، ولأجلها نصبت الموازين، ووضعت الدواوين وقام سوق الجنة والنار، وبها انقسمت الخليقة إلى مؤمنين وكفار، وأبرار وفجار، فهي منشأ الخلق والأمر والثواب والعقاب، وعليها نصبت القبلة، وأسست الملة، ولأجلها جردت السيوف للجهاد، وهي حق الله على جميع العباد فهي كلمة الإسلام، ومفتاح دار السلام وعنها يسأل الأولون والآخرون: فلا تزول قدما العبد بين يدي الله حتى يسأل عن مسألتين: ماذا كنت تعبد؟ وماذا أجبت المرسلين؟ جواب الأول بتحقيق لا إله إلا الله معرفة وإقرارًا وعملا، وجواب الثانية بتحقيق أن محمدًا رسول الله معرفة وإقرارًا وانقيادًا وطاعة، كما ذكر ابن القيم - رحمه الله -.

عموم مفهوم العبادة

ومن الأدلة على عموم مفهوم العبادة قول النبي ﷺ: «الدعاء هو العبادة» [رواه الترمذي وأبو داود وابن ماجه وصححه الألباني].

ثم قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر:٦٠].

وقوله ﷺ: «من حلف بغير الله فقد أشرك» [رواه الترمذي وأبو داود وصححه الألباني].

وبَيَّنَ أهل العلم أن هذا يدل بمفهومه أن الحلف بالله عبادة لأنه تعظيم لله عز وجل والعبد يحلف بمن يقدر على الانتقام منه إن حلف به كاذبا.

والتحاكم إلى شرع الله عز وجل، عبادةٌ كما قال يوسف عليه السلام: ﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [يوسف:٣٩]، ثم قال بعد ذلك: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ﴾ [يوسف:٤٠]، وحب الله عز وجل عبادة كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة:١٦٥]، وخوف الله عز وجل عبادة كما قال تعالى: ﴿وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:١٧٥].

وبذلك يتبين أن المفهوم الصحيح للعبادة لازم لتصحيح معتقد المسلم فإن معنى كلمة التوحيد: لا إله إلا الله، لا معبود بحق إلا الله ولجهل الناس بهذا المعنى وجهوا العبادات الكثيرة من الخوف والرجاء والتوكل والمحبة والدعاء والاستغاثة والتحاكم والحلف وغير ذلك من العبادات لغير الله، فصدق عليهم قول الله عز وجل: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ [يوسف:١٠٦].

العبادة الحقة

العبادة لابد فيها من كمال الحب مع تمام الخضوع والذل، فهما ركنان لا تتم العبادة إلا بهما، فالرجل يحب زوجته مثلا ولا يقال عبدها إذ خضوعه وذله لله تعالى.

ولا تصح العبادة إلا بالحب والخوف والرجاء، فلابد للعبد أن يكون محبًا لربه في كل أعماله، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة:١٦٥]، وأن يكون خائفًا ربه، يخاف وعيده وعقابه، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:١٧٥].

وأن يكون راجيًا رحمة ربه، قال تعالى: ﴿يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء:٩٠].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة:٢١٨].

قال بعض السلف: من عبد الله بالرجاء فقط فهو مرجئ ومن عبده بالحب فقط فهو زنديق، ومن عبده بالخوف فقط فهو حروري (نسبة إلى حروراء التي اعتصم بها الخوارج) ومن عبده بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن

موحد، فالعبادة الحقة هي التي يتوافر فيها حب الله وخوفه لله، والرجاء فيما عند الله، ومن هنا ندرك خطأ من قال: أنا لا أعبد الله خوفًا من ناره، ولا طمعًا في جنته، ولكن أعبده حبًا لذاته!! وهذا كلام مخالف لنصوص الشريعة ولما كان عليه الأنبياء والمرسلون، كما سبق بيانه.

وأدعية النبي ﷺ الثابتة كثيرة في سؤال الله الجنة والتعوذ به من النار، وهو صلوات الله وسلامه عليه سيد الأولين والآخرين، وأكثر الخلق عبودية وتقوى لله تعالى.

شروط صحة العبادة

العبادة لابد فيها من نية وصحة وإخلاص ومتابعة، قال تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف:١١٠]، فإذا كان العمل خالصا ولم يكن صوابًا لم يقبل، وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا لم يقبل، والخالص ما كان ابتغاء وجه الله، والصواب ما وافق سنة رسول الله ﷺ، فالواجب علينا أن نعبد الله ولا نشرك به شيئًا، وأن نعبد الله بما شرع وليس بشرع أحد سواه.

ومن هنا ندرك خطأ من يرفض الطاعات والعبادات بزعم الاكتفاء بالنوايا الحسنة، كما ندرك خطأ التقصير في واجب العبودية بسبب دواعي العرف والعادة، والكثرة. قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً مُبِينًا﴾ [السجدة:٣٦].

وباختصار فالعبادة المقبولة لابد لها من شروط ثلاثة وهي:

١ - أن تكون مطابقة لما جاء به النبي ﷺ لأن الله يقول: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر:٧] وقال: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء:٨٠].

وقال الرسول ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد». [صحيح الجامع ٨٩٣]. وقال: صلوا كما رأيتموني أصلي» وقال: «خذوا عني مناسككم». [رواه مسلم].

٢ - أن تكون خالصةً لوجهه تعالى لأنه يقول: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [البينة:٥].

لأن الرياء محبطٌ للعمل، قال تعالى: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك معي فيه غيري تركته وشركه».

٣ - أن تكون مبنية على أساس العقيدة الصحيحة، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ [النساء:١٢٤]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ﴾ [البقرة:٢١٧]، وقال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ [الفرقان:٢٣]، فاليهود والنصارى وأشباههم لا يقبل منهم شيئ ولو كان مما يتقربون به إلى الله تعالى.

العبادات توقيفية

والأصل فيها الحظر أي أنها تؤخذ دون زيادة ودون نقصان، قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا﴾ [المائدة:٣]، أما المعاملات فالأصل فيها الإباحة إذا روعيت ضوابطها الكلية.

رأى رسول الله ﷺ رجلاً يمشي في الحج بين رجلين يسندانه فقال ﷺ: «ما هذا؟» فقالوا: يا رسول الله نذر أن يحج ماشيًا. فقال ﷺ: «إن الله عن تعذيب هذا نفسه لغني مروه فليركب» رواه البخاري ومسلم، فنهى ﷺ عن فعل لم يشرعه الله عز وجل، وإن كان فاعله قاصداً به التعبد والتقرب إلى الله عز وجل.

وأتى رجل إلى الإمام مالك وقال: من أين أحرم؟ قال: من حيث أحرم رسول الله ﷺ قال الرجل: فإن أحرمت من أبعد منه. قال مالك: لا تفعل فإني أخاف عليك الفتنة. فقال الرجل: فأي فتنة في ازدياد الخير؟. فقال مالك: فإن الله تعالى يقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور:٦٣٢].

معاني العبودية تتجلى في فريضة الحج

الحج من أبلغ أنواع التعبدات في تزكية النفوس، حيث ينصرف العباد إلى مقتضى الاسترقاق، وتظهر فيه معاني العبودية المحضة عندما تعظم شعائر الله، ولذلك لبى

أنس رضي الله عنه: «لبيك بحجة حقا، لبيك تعبدا ورقا» ولبى غيره «لبيك ذا المعارج، لبيك ذا الفواضل، لبيك وسعديك والخير كله بيديك، والرغباء إليك والعمل» والتزم النبي ﷺ تلبية «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك».

وكلها إعلان بتوحيد الله عز وجل وإدامة للطاعة والعبودية له، والاعتراف بشكره سبحانه، وهي في ذات الوقت مجانبة للمشركين الذين كانوا يلبون «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك» والمسلم يستعشر وهو يلبي، قيمة العقيدة التي توحد قلوب العباد، ويعلم بتجاوب الكون والأصداء من حوله، يقول رسول الله ﷺ: «ما من مسلم يلبي إلا لبى ما عن يمينه وشماله، من حجر، أو شجر، أو مدر حتى تنقطع الأرض من هاهنا وهاهنا» رواه الترمذي والبيهقي والحاكم وصححه.

والرجل إذا حج يرتدي إزارا ورداءً، يذكره بكفنه، ويقفز به من سجن ضيق إلى عالم فسيح، حيث ينأى عن العادات والمألوفات، ويخرج من بلده وقد شعر بأخوة المؤمنين على اختلاف الجنس واللون والوطن ﴿وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون﴾.

شعائر الحج ردٌ على دعاة إتباع العقل

والحج تحد لعُبَّاد العقل، ودعوة إلى الإيمان بالغيب واتباع الأمر المجرد بعيداً عن العادات والمألوفات والحضارة المصطنعة والمجتمع القاسي، فيصل إلى بيت يزوره الناس من كل فج عميق وأوب سحيق، شعثا غبرًا متواضعين لرب البيت ومستكينين له خضوعا لجلاله. ليكون ذلك أبلغ في رقهم وعبوديتهم وأتم في إذعانهم وانقيادهم ولذلك وظف عليهم في الحج أعمالا لا تهتدي إلى معانيها العقول كرمي الجمار بالأحجار والتردد بين الصفا والمروة على سبيل التكرار وبمثل هذه الأعمال يظهر كمال الرق والعبودية ﴿ الم(١) أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ [العنكبوت:١-٣] والحكمة ظاهرة في الصلاة والزكاة والصيام أما أعمال الحج فلا اهتداء للعقل إلى معانيها، فلا يكون في الإقدام عليها إلا باعث الأمر المجرد وقصد الامتثال للأمر من حيث إنه أمر واجب الاتباع فقط. ولذلك قال أنس لبيك بحجة حقا تعبدًا ورقا ولم يقل ذلك في صلاة ولا غيرها.

وعباد الرحمن إذا عرض لهم الشيطان بخاطر أو وساوس فقال لهم: سعت هاجر فلماذا تسعى، ورمى إبراهيم لما عرض إبليس له فلماذا ترمي؟ فاعلم أنها وسوسة ولابد من إرغام أنف الشيطان، ولأن تخر من السماء إلى الأرض أهون عليك من أن تجد ما تجد فأنت عبد لله ﴿إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون﴾ [الأعراف].

الحج طاعة يتقلب بها الحاج بين مكة ومنى وعرفات والمزدلفة، يقيم ويرحل ويمكث ويتنقل ويخيم ويقلع ليست له حرية ولا اختيار ولا حكم إلا الامتثال فهو طوع إشارة ورهين أمر، يلبث بمنى ثم ينتقل إلى عرفات من غير أن يقف بالمزدلفة وقد تحدثه نفسه بالمكث بعد الغروب ولكنه ينصرف بسكينة ووقار فليس البر بالإسراع. ويجمع الظهر والعصر بعرفات بعد سماعه الخطبة. جمع تقديم. ويجمع المغرب والعشاء بالمزدلفة جمع تأخير ويصنع ذلك كما صنعه رسول الله ﷺ، فهو عبد لله وليس عبدا لعاداته، ثم يؤمر بالانتقال إلى منى وهكذا كانت حياة إبراهيم وحياة الأنبياء عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام، نزول وارتحال ومكث وانتقال وعقد وحل ونقض وإبرام ووصل وهجر لا خضوع لعادة ولا إجابة لشهوة ولا اندفاع للهوى، ولذلك قال النبي ﷺ يوم عرفة «كونوا على مشاعركم فإنكم على إرث من إرث إبراهيم» [رواه الترمذي وقال حسن].

ولا يملك المسلم في النهاية إلا أن يهتف بقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام:١٦٢، ١٦٣].

والله من وراء القصد.

تعلن مجلة التوحيد

عن وجود مجلدات مجلة التوحيد للبيع وقد تقرر أن يكون سعر المجلد لأي سنة داخل مصر للأفراد والهيئات والمؤسسات ودور النشر ١٨ جنيهاً مصرياً . وفروع أنصار السنة ١٥ جنيهاً مصرياً . ويتم البيع للأفراد خارج مصر بسعر ١٠ دولارات أمريكية - والهيئات والمؤسسات ودور النشر ٨ دولارات أمريكية .

مفاجأة كبرى

- لأول مرة نقدم لك كرتونة كاملة تحتوى على ٣٠ مجلداً من مجلة التوحيد ٣٠ سنة كاملة.
- ٥٠٠ جنيه للكرتونة للأفراد والهيئات والمؤسسات داخل مصر .
- ١٢٥ دولاراً لمن يطلبها خارج مصر بخلاف سعر الشحن .
- ٧٥ دولاراً للشحن .

مكان البيع بالمركز العام الدور السابع المجلة : ٣٩٣٦٥١٧ الاشتراكات : ٣٩١٥٤٥٦

دعوة لنشر التوحيد عبر

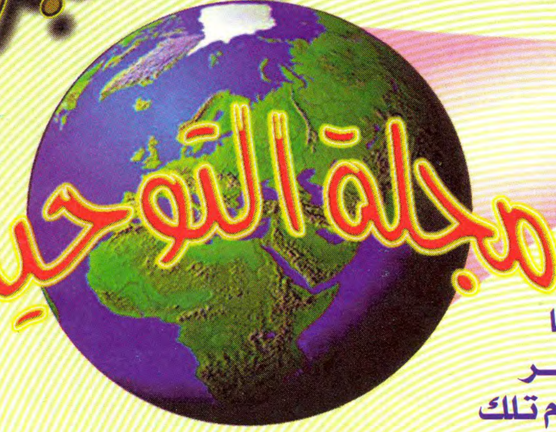

الحمد لله وبعد :

إن وسائل الإعلام في كثير من البلدان في غالب الأحيان صارت عوامل هدم للمجتمعات. فكثير من المفاهيم الشرعية والمعرفية استطاعت وسائل الإعلام تزييفها وتغييرها، ومن هنا سارعت دول الكفر والمذاهب الهدامة إلى السيطرة على زمام تلك الوسائل لتبث من خلالها سمومها التي أشربتها كثير من القلوب فسقطت صرعى وهلكى، أو مرضى في طريق سيرها إلى الله والدار الآخرة، وكان من نتائج ذلك محاولات هدم أركان العقيدة ومحاربة الفضيلة ونشر الرذيلة والفاحشة.

فعبدت القبور وذبحت القرابين لغير الله عز وجل، وانتشر السحر والسحرة واتُبِعَت الشهوات وكثرت المنكرات، لكن سرعان ما تنبه العقلاء من المسلمين للخطر الداهم فسارعوا إلى معالجة المرضى وإنقاذ الهلكى، فكان من جهودهم هذه المجلة الغراء - مجلة التوحيد - منبر الدعوة السلفية بمصر، والتي عملت على نشر التوحيد منذ أكثر من ثلاثين عاماً.

ومن هذا المنطلق ندعوكم أيها الأخوة - حفظكم الله - إلى نشر التوحيد عبر مجلة التوحيد بتوزيعها بالداخل ؛ السنة الكاملة بـ ١٥ ريالاً أو ١٥ جنيهاً مصرياً فقط قيمة اشتراك يُهدى إلى معلم أو واعظ يؤثر في مجتمعه، و ٢٠ دولاراً قيمة اشتراك خارجي يُهدى إلى من يحتاج إلى من ينير له الطريق . فلا تحرم نفسك يا أخي من السُّنة الحسنة والأجر الجزيل.

قال ﷺ : « من دعا إلى هُدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه ».

ويمكن المشاركة بدعم المجلة بعمل حوالة بنكية أو سويفت أو تلكس أو شيك مصرفي على بنك فيصل الإسلامي فرع القاهرة حساب رقم ١٩١٥٩٠ باسم مجلة التوحيد - أنصار السنة - وفقنا الله وإياكم لما يحبه ويرضاه.

أسرة مجلة التوحيد